الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة محمد بوضياف المسيلة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

العنوان:

السقوط الحضاري عند إبن خلدون

من إعداد الطالبة:
دالي أسماء

إشراف الأستاذة:
نسيبة مزواد

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وعرفان

بعد شكري للمولى عزَّ وجلَّ الغفور الرحيم، لإعانتي و توفيقي على إتمام هذا العمل .

أتوجه بجزيل الشكر إلى كل من مد لي يد المساعدة، وإلى كل من سهر على إنهاء هذا العمل، وأذكر على وجه الخصوص، المشرفة الأستاذة، ´´ نسيبة مزواد `` التي لم تبخل عليا بتوجيهاتها الثرية منذ بداية هذا العمل، كما أشكر لجنة المناقشة التي تتولى مناقشة هذا العمل .

- وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر إلى أسرة معهد الفلسفة من مؤطرين و أساتذة، الذين كان لهم الفضل في تكويننا

وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل .

الإهداء

إلى من قال فيهما لهما الرحمان " وإخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ إرحمهما كما ربياني صغيراً "

إلى أرق عيون تعودت رؤيتها إلى أجمل ما في الوجود و ينبوع الرحمة و السعادة ، إليكما والديا الكريمين أطال الله في عمريكما وجمعني وإياكم في جنَّات الخلود .

إلى كل من شاركوني حلاوة الحياة ومرارتها إليكم صديقاتي :

خولة ، عبلة ، زينب ، حورية .

أطال الله في أعماركم وجمعنا جميعاً في رياض جنَّاته

إلى كل إخوتي و أخواتي.

إلى كل من يعزز ثقتي ويشد عزيمتي إلى من أشاركه تفاصيل حياتي " محمد " وعائلته الكريمة

وأشكره جزيل الشكر في مساعدتي على إتمام هذا العمل .

مقدمة

يُعَدُ موضوع الحضارة (civilisation) من أهم المواضيع التي إستقطبت إهتمام العديد من الفلاسفة والمفكرين، كانقلاب نوعي على القصور الذي عانت منه فلسفة التاريخ حسب الكثير من المؤرخين، اذ كيف لفيلسوف أن يتنبأ بنهاية التاريخ وأبرع القادة لا يستطيعون التنبؤ بنهاية معركة حتى، اذ يجب على فيلسوف التاريخ ان يتجنب التعميم والاحكام الكلية ويتوجه لتحديد وحدات بحثية "كالحضارة". فتوجه الكثير من الفلاسفة لهذا المبحث الحديث أمثال المؤرخ الإيطالي "جيوفاني باتيستا فيكو" (1668م-1774م) ، وقد عالج موضوع الحضارة في كتابه الشهير (العلم الجديد)، وبعده ظهر مؤرخ و فيلسوف ألماني متميز "أزوالد شبنجلر"(1880م-1936م)، بكتابه الشهير (تدهور الحضارة الغربية)، والمؤرخ الإنجليزي "أرنولد جوزيف توينبي"(1889م-1975م), بكتابه (دراسة في مختصر التاريخ)، وإلى جانب هؤلاء نجد المفكر الجزائري "مالك إبن نبي" صاحب الاسهامات الفكرية الوافرة في الفكر الحضاري، حيث أنَّ معظم كتبه تندرج تحت عنوان مشكلات الحضارة، وغيرهم من المفكرين و المؤرخين الذين كانت لكل منهم نظرة شاملة إستخلصوها من دراستهم العميقة لمراحل النمو والإنحطاط التي مرت بها الحضارات والأمم والدول والشعوب السابقة.

ومن أبرز الدراسات التي ظهرت في هذا المجال، نجد دراسات المؤرخ والفيلسوف "عبد الرحمان إبن خلدون" (1332م - 1406م)، في كتابه الشهير (المقدمة)، إذ نجده قد نال حيزاً كبيراً من الدراسات الفلسفية الحديثة والمعاصرة في الحقلين : الفكر الغربي والفكر الشرقي، نظراً لما تحمله أفكاره في هذا المجال من صلة وطيدة بكينونة الإنسان ومصيره، حيث أنَّه جعل المجتمع الإنساني كله مادَّةُ لدراسته وتأملاته, وحقلاً لتجاربه وتحليلاته، وتتبع الظواهر الطبيعية التي تحيط بالمجتمع وتؤثر فيه في مختلف أحواله وتتابع أطواره، في نشأته الأولى، وفي إستقراره وفي وتأرجحها بين القوَّة والضعف، والنهوض والسقوط، والنصر والهزيمة.

وبناءاً على ما سبق جاء بحثي بعنوان: **``السقوط الحضاري عند إبن خلدون``**، كمحاولة لضبط الإشكالية التالية :

- ماهي أسباب انحلال الحضارة حسب فكر إبن خلدون؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية الكبرى مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها ما يلي :

- كيف تقوم كينونة الحضارات؟
- وما هي عوامل تطورها وإزدهارها؟

❖ وهل يمكن لها أن تتجنب مصير الإنهيار والإضمحلال؟

ومن الدوافع الأساسية التي دفعتني إلى إختيار هذا الموضوع وخوض غماره، هو بغية فهم الحضارة حسب الفكر الخلدوني، وإستخلاص القوانين الكلية التي تتحكم في سيرها والتنبؤ بمستقبلها، ومعرفة ديناميكية ومسار المجتمعات والحضارات.

– وإنطلاقاً من هذه المعطيات، فقد وضعت خطة لمعالجة هذا البحث، والتي قسمتها إلى: مقدمة وخاتمة، تتخللها ثلاثة فصول.

– الفصل الأول والذي كان بعنوان: نشأة الحضارة عند إبن خلدون، وقد تناولت فيه ضرورة الإجتماع البشري كمبحث أول، أمَّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: البداوة ومميزاتها، أمَّا المبحث الثالث فقد سطرته بعنوان: العصبية في الفكر الخلدوني.

– أمَّا عن الفصل الثاني فقد جاء بعنوان: تطور الحضارة عند إبن خلدون، فتناولت في المبحث الأول: الدولة والسياسة، والمبحث الثاني عرضت فيه: الدولة والإقتصاد، وأمَّا عن المبحث الثالث فعنونته: بالدولة والرقي الفكري.

– وأمَّا عن الفصل الثالث فقد جاء بعنوان: أسباب إنهيار الحضارة عند إبن خلدون، والذي يندرج تحته ثلاثة مباحث كان أولها: الأسباب السياسية، وثانيها: الأسباب الإقتصادية، وثالثها: قيام الدولة المستجدة.

أمَّا عن المنهج المتبع في هذه الدراسة، فهو المنهج التحليلي، الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع، الذي تدور إشكاليته حول تجزئ الحضارة من نشأتها وصولاً إلى عوامل سقوطها، إضافة إلى المنهج المقارن، حيث أنَّني قمت بالمقارنة بين عاملان أساسيان كانا السبب في تطور الحضارة وفي نفس الوقت سبباً في هلاكها و سقوطها، وهما: العصبية والترف.

– وقد اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع، وأهمها :

(المقدمة) لإبن خلدون و(ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، إضافة للمراجع الاساسية وعلى رأسها: مرجع (العصبية و الدولة) لمحمد عابد الجابري، ومرجع (البداوة والحضارة) لمحمد العبده, وأخرى ثانوية نجد منها: أحمد محمود صبحي (في فلسفة التاريخ) ومصطفى النشار (تطور الفكر السياسي من صولون حتى ابن خلدون).

- وككل بحث أكاديمي فقد واجهتني جملة من الصعوبات في إنجاز هذا البحث، والتي عملت قدر المستطاع على تجاوزها وهي:

- نقص الدراسات على فكرة السقوط الحضاري عند إبن خلدون، وتناثر المعلومات وتنافرها، والتي تحتاج إلى تركيب وترتيب الأمر الذي جعلني أجد صعوبة في بلورة المعلومات بدقة.

- تعقيد الموضوع وإتّساعه، الأمر الذي جعلني أجد صعوبة في الإلمام بجميع جوانبه.

الفصل الأول

نشأة الحضارة عند إبن خلدون

- **المبحث الأول : ضرورة الإجتماع البشري**
- **المبحث الثاني : البداوة ومميّزاتها .**
  - ✓المطلب الأول : تعريف البداوة
  - ✓المطلب الثاني : سمات البداوة
- **المبحث الثالث : العصبية في الفكر الخلدوني**

إنَّ الانسان هو اساس البناء الحضاري، لأنه مبدعه وصانعه, فالحضارة هي المميزة له غيره من سائر الأحياء، وهي نابعة من جهده وعمله وسعيه لبلوغها، وأول المراحل التي يمر بها الانسان في تشكيله للحضارة هو تفاعله مع البيئة كعامل مهم في نشأة الحضارة، وذلك بتفاعله مع أفراد مجتمعه، وهو ما يتجسد في أفراد وأهل البادية، نظرا لما لهؤلاء من تكاتف وترابط وأهداف مشتركة تهدف لنشأة الحضارة، الذي يتم بقوة العصبية لديهم .

وعليه يمكننا طرح التساؤل التالي :

- ماهي أهم النقاط التي تمر بها مرحلة البداوة في تشكيلها للحضارة ؟

المبحث الأول : ضرورة الإجتماع البشري

إنَّ الإنسان كما هو معروف إبن بيئته تشكله وتصنعه، إذ من الإستحالة أن يعيش الإنسان منفردا، ولذلك دعته الضرورة إلى التفاعل مع أبناء جنسه، وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي :

-كيف يجتمع الناس ؟ وماهي الغاية من هذا الإجتماع ؟

يبدأ إبن خلدون. أبحاثه الإجتماعية في المقدمة الأولى، بالإقرار بأنَّ الإجتماع الإنساني ضروري، ويبرهن على هذه الضرورة بقوله «إنَّ الإجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الإجتماع»"[1]، لأنَّ الإنسان يختلف عن الحيوان فهذا الأخير بإمكانه أن يعيش بمفرده ويكسب قوته مستغنيًا عن أمثاله، كما يمكنه أن يدافع عن نفسه إذا كانت له الأسلحة الكافية التي زودته بها الطبيعة، أو وسائل النجاة بنفسه من الخطر. أمَّا الإنسان فهو وحده الحيوان الذي لا يستطيع أن يحصل على رغيف من الخبز بجهده وحده، وإذا لم يتعاون هو وأمثاله على تحضير جملة من الوسائل المتتالية والمتنوعة، والتي لا يستطيع واحدًا بمفرده تحقيق شيء منها، لكي يحصل على رغيف من الخبز فضلاً عمَّا وراءه من الحاجيات الأخرى المتنوعة والمعقدّة من ملبس ومسكن وتنقل.....إلى آخره.

فالإنسان يجتمع مع غيره لأنه مضطر إلى التعاون مع بني جنسه، وهذا من أجل تحقيقه غايتين، الأولى تكمن في تحصيل قوت يومه الذي يحتاج إليه، لأنَّ قدرة الإنسان لوحده غير كافية على تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، وبالتالي فهو يحتاج إليه، للتعاون مع غيره، والثانية تكمن في الإستعانة بغيره لدفع تعدي الحيوانات عليه، وذلك لأنَّ « الواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة الواحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة »"[2]، وبالتالي وجب عليه التعاون مع بني جنسه لحفظ بقائه، فالإنسان هو الوحيد الذي لا يستطيع الإستغناء عن أمثاله لكي يحفظ حياته ويؤمّن رزقه، وعليه فلا بدّ له من مجتمع يعيش فيه.

[1]- **عبد الرحمان إبن خلدون**، المقدمة ,ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت, ط1, 2001, ص54.

[2] - **إبن خلدون** ، مصدر نفسه، ص 55.

فحاجة الفرد للمجتمع ليست حاجة طبيعية فحسب وإنَّما هي ضرورية أيضاً، فالإنسان لا يتمكن من البقاء إلاَّ بالعيش مع الآخرين وهذا ما يكون المجتمع .

وبتكون المجتمع تكون أول خطوة يخطوها الإنسان لبلوغ الحضارة, وعليه يمكننا الإقرار بأنَّ الناس يجتمعون لأنَّ الضرورة تدعوهم إلى ذلك كون الإنسان مدني وإجتماعي بطبعه، وغرضه في ذلك تحسين ظروف حياته وحفظ بقائه ولكنه في مقابل هذا طوّر أساليب حياته من مجتمع التوحش والحرمان إلى مجتمع التمدُّن والأمان.

المبحث الثاني : البداوة ومميّزاتها .

تُعد هذه المرحلة ثاني مرحلة من مراحل تشكل وبناء الحضارة، فبعدما تكلمنا على ضرورة الإجتماع الإنساني كون الإنسان يستحيل أن يعيش منفرِدًا، فالضرورة الحتمية التي يؤول إليها مصير الإنسان هي إنتقاله من مرحلة العيش الهمجي البربري البدائي إلى وسط يعمه الإحترام والإنقياد والسلم، وهو ما يُعرف بالحضارة.

ولكن قبل الإنتقال إلى مرحلة الحضارة، شكلت مرحلة البداوة قاعدة رئيسية و ركيزة أساسية في بلوغ مرتبة الحضارة

- فما المقصود بمصطلح البداوة ؟

- وما هي أهم السِمات التي إمتازت بها ؟

- المطلب الأول : تعريف البداوة

إنَّ البدائي في اللّغة الفرنسية يعني(primitif)، وفي الإنجليزية (primitive)، وفي اللّاتينية (primitivus)، و«البدائي هو القديم الذي لم يتقدم عليه بالزمان شيء، يقول الحادث البدائي أو الدالة البدائية (primitive fonction)، بالقياس إلى التابع المشتق (dérivée)، والحالة البدائية حالة العنصر البسيط أو حالة الشيء المركب من عدد قليل من العناصر البسيطة »"[1].

وقد إستخدم إبن خلدون مصطلح البدو « تارةً بمعنى سكن البادية و العيش فيها وهؤلاء القائمون على الفلح و الحيوان تدعوهم الضرورة ولا بُدَّ إلى البدو... و تارةً بمعنى سكان البادية أنفسهم »"[2]، إلاَّ أنَّ « العرب كانوا يطلقون لفظ البادية على ما نسميه الأرياف بالإضافة إلى الصحاري، فإذا قال العربي أهل البادية فهم من ذلك أهل الصحراء و أهل الأرياف المزروعة »"[3].

---

(1)- **جميل صليبا**، المعجم الفلسفي،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت ،لبنان،ط1، 1982,ص199.

(2)- **محمد عابد الجابري**، فكر إبن خلدون (العصبية و الدولة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت, ط6 ,1994، ص286 .

(3)- مرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أي البدو هم جيل طبيعي وأولي في الخلقة كونه يعتبر أول مرحلة يبدأ بها الإنسان ثُمَّ بعد ذلك يتطور ليصل لمرحلة التحضير. فلبداوة هي حياة سكان أهل البدو وخاصَّةً سكان الصحراء منهم المقتصرون على ضروريات العيش فقط.

– المطلب الثاني :سمات البداوة.

إنَّ أهم ميزة تميزت بها مرحلة البداوة هي قوة العصبية، وذلك لأنها هي التي توجه التطور الإجتماعي والعمراني عند إبن خلدون، فهو يُتخذ من هذه الرابطة موضوعاً لدراسة عميقة وواسعة، ويتكلم عن مصدرها ويرده إلى الطبيعة البشرية « وذلك لأنَّ صلة الرحم طبيعة في البشر إلاَّ في الأقل، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة »"[1]، أي أن تتجسد في البشر في الدفاع والحفاظ على كل من له رابطة الدم و اللّحام في أفراد القبيلة الواحدة، فالعصبية ضرورية في الحياة الإجتماعية، لأنَّ بها يتم التغلب وبالتغلب يحصل الملك، وهكذا تلعب العصبية دوراً هاماً في تأسيس الملك وتكوين الدولة. فالإنسان البدوي يمتاز بقوة العصبية التي تساهم بشكل كبير في بناء وتشكيل الحضارة. ومن مميزات طور البداوة انها مرحلة سابقة وأولية كما هو معروف أنَّ البسيط أولى من المركب.

فالعمران البدوي سابق لأنه أبسط أنواع العمران كون أهل البدو يعيشون في الصحاري وهم أول مرحلة وتليهم مرتبة رعاة الشياه ثم المقيمون في التلال والسهول المشتغلون بالزراعة، فأهل البدو هم المقتصرون على الضروري في حياتهم والحاجي فقط « ولا شكَّ أنَّ الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه »"[2]. فالضروري هو الأصل، لأنَّ أول مطالب الإنسان ما هو ضروري لضمان حياته وبقائه وتحقيق مطالبه البيولوجيا، وعليه فإنَّ مرحلة البداوة مرحلة سابقة، كونها تقوم على أبسط أنواع العمران من مأكل ومشرب وملبس .

---

(1) - **محمد عابد الجابري**، مرجع سابق, ص 170.

(2)- **محمد العبده**، البداوة و الحضارة (نصوص من مقدمة إبن خلدون)، المنتدى الإسلامي، لندن ,ط1993،1،ص44.

كما أنَّ الإنسان البدوي يمتاز بميزة الخير، وهي ميزة يكتسبها من مجتمعه وهذا ما يؤكده قول إبن خلدون في مقدمته.

« وسببه أنَّ النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أوشر »"[1]، كما هو معروف ومتداول أنَّ الطفل يولد صفحة بيضاء والمجتمع يكتب عليه ما يشاء، فإذا ولد الطفل في مجتمع يعمه التعاون والتآزر والتآخي وكل الصفَّات الحميدة نجده يأخذ من تلك الصفات، ونجد هذه الصفات في المجتمع البدوي، وهو ما يتجسد في العصبية من الإلتحام الذي يكون بين الأقارب أو القبائل أو العشائر، والنعرة على ذوي القربة والأرحام وتشتدّ هذه العصبية عندما يكون هناك خطر يهددهم، فالعصبية تنتفي ويقضى على معناها عندما يكون هناك رابط مصلحة، وإذا ربطنا صفة الخيّر في الإنسان البدوي بتشكيل الحضارة نجدها تساهم بشكل كبير في بناء الحضارة، وذلك من ناحية أنَّ الإنسان الخير بطبعه يعمل على بناء وتشكيل الحضارة لا القضاء عليها.

وقد إرتبطت الشجاعة بالإنسان البدوي وذلك نتيجة لإنفراد الإنسان البدوي عن المجتمع وتوحشه في الضواحي وإبتعاده عن الحامية الذين يدافعون عنه، وبالتالي فهو يعتمد دائماً على نفسه، ولا يثق في الدفاع عن نفسه على أحد بل هو دائماً يحمل السلاح، فنجد بأنَّ الشجاعة صارت لديه سجية يرجع إليها متى دعاه داعي، فتعد الشجاعة بالنسبة للإنسان البدوي أداة لحماية نفسه بنفسه، فالذي يستطيع تأسيس وتشكيل الدولة ليس الإنسان الذي يحتاج في حماية نفسه إلى غيره، بل الإنسان الذي بمقدرته حماية نفسه وغيره وهو الإنسان البدوي.

وقد تنتج على صفة الشجاعة صفة الأنفة و العزَّة، فللبدوي الذي لا يحكمه أحد تكون الأنفة والعزة عنده قوية، لأنَّ الإنسان البدوي لا يحتاج إلى مد يده إلى غيره في حمايته بل لديه القوَّة والشجاعة الكافية لحماية نفسه، وهذا ما يؤكده القول التال « وذلك أنه ليس كل أحد مالك أمر نفسه، إذ الرؤساء والمالكون لأمر الناس قليل بالنسبة إلى غيره، فمن الغالب أن يكون الإنسان في ملكة غيره لابد، فإنَّ الملكة رفيقة وعادلة لا يعاني منها حكم ولا منع وصد، كان من تحت يدها مدلين بما في أنفسهم من شجاعة أو جبن واثقين بعدم الوازع، حتى صار لهم الإدلال جبلة لا يعرفون سواها»"[2].

---

[1]- **إبن خلدون**، مصدر سابق،ص153.

[2]- **ضياء الدين رجب شهاب الدين**، الدُرُ المصون بتهذيب مقدمة إبن خلدون، دار الفتح للطباعة و النشر و التوزيع، ط1 ,1995, ص153.

أي أنَّ الشعوب التي بإمكانها تأسيس الدول هي الشعوب التي تتمتع بالعزَّة والكرامة والشعوب التي تتمتع بالعزَّة والكرامة هي الشعوب البداوية كونها لا تعيش تحت قوانين مسلطة من قبل الدولة. يمكننا القول بأنَّ كل الصفات التي تحملها مرحلة البداوة من خير وشجاعة وأنفة وعزَّة وعصبية تخدم بشكل أو بأخر بناء الحضارة .

المبحث الثالث : العصبية في الفكر الخلدوني

إنَّ العصبية هي ظاهرة خاصَّة بالبدو وذلك لأنَّ أحياءهم مفتوحة تحتاج دائماً في الدفاع عنها إلى تكتل وتعاضد أهلها.

-فما المقصود بالعصبية ؟ وما هو دورها في تشكل الحضارة ؟

إنَّ أهم ما يوجه التطور العمراني عند إبن خلدون، هو نظريته في العصبية، فهي بمثابة المحور التي تدور حوله معظم المباحث.

لقد عرَّف الجابري العصبيَّة بأنها: « رابطة إجتماعية شعورية ولا شعورية معاً، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة، ربطاً مستمراً يبرُز و يشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد، كأفراد أو كجماعة »"[1].

أي أنَّها ذلك اللّحام الذي يربط بين أهداف ومشاعر مشتركة عند كل من تجمعهم لحمة الدم والولاء فهي كما توجد في البوادي، توجد كذلك داخل المدن، لأنها تستجيب لميل طبيعي يحمل الناس على أن يلتحموا بعضهم ببعض و أن يتكتلوا في فئات وإن لم ينتموا إلى الأسر نفسها، وإعتبرها غاستون بوتول « حجر الزاوية لفلسفته، وعلى هذه النظرية يقوم علمه النفسي وأدبه و فلسفة تاريخه، وهي فلسفة التضامن وتعبر عن بأس هيئة إجتماعية، وعن قوة زمرة معينة من الآدمين، وذلك بأن يدل على تكاتف أعضائها وتفانيهم في سبيل الباعث المشترك »"[2]، من أجل بلوغ أهدافهم وتحقيق مطالبهم في كل ما يخدم مصالحهم.

وقد إعتبر " الحبابي " العصبية عند إبن خلدون بأنَّ تلك « الروابط الدينامية و الروح العشائرية القائمة على لحمة الدم، إنها الأساس الذي تنبني عليه سياسياً ومجتمعياً كل العلاقات بين المنتسبين إلى القبيلة الواحدة، و القوة التي تتلاحم بها مجموعة من القبائل لتحتمي وتقوي شوكتها...إنها البنية الأولى لقيام الدولة »"[3]، فحسب إبن خلدون فإنَّ القبائل التي بإمكانها تأسيس الدول والقيام بالحضارة هي القبائل التي تتكاتف بسلاح العصبية كونها هي القوة التي تدفع بالقبيلة إلى بلوغ أهدافها.

---

(1)- **محمد عابد الجابري**، مرجع سابق، ط5، ص254.

(2) - **غاستون بوتول**، إبن خلدون فلسفته الاجتماعية، تر: عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت, لبنان، ط2، 1974، ص 87.

(3)- **محمد الحبابي**، الدينامية المحركة للتاريخ عند إبن خلدون،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت, لبنان, ط1،2003 ، ص87.

أمَّا عن مفهوم العصبية في اللّغة العربية فيعني « القوة الناتجة من تحقيق بنية قرابية أو تحالفية ولائية، كما تطلق على ذوي القربى إسم العصبية، وهذه الكلمة تمت بصلة الإشتقاق إلى كلمة التعصب بمعنى الشد والربط »"[1]. الذي يحمل في طياته معنى التناصر و التعاضد للدفاع عن بعضهم البعض و الحفاظ على ممتلكاتهم . «إنَّ العصبية قوة طبيعية في بادئ الأمر لا يعي مفهومها الفرد البشري، وإنما يسلك سلوك يعززها، ولا يمكنه معاكستها إلا إذا إنسلخ منها، فلذلك تبدو وكأنها شيئ تلقائي، يبني إبن خلدون العصبية على أساس من الجماعة المتلاحمة... وغايتها الإرتقاء إلى الملك»"[2]، حتى أنَّ الدعوة الدينية حسب إبن خلدون فقد خصص لها فصلاً كاملاً إذ أقرَّ بأنَّ الدعوة الدينية من غير عصبية لا يمكن أن تحصل وتتم .

ويشير إبن خلدون إلى ما يسميه « العصبية الطبيعية التي لا تفارق وهي بعزّة الرجل على أخيه وجاره في القتل والعدوان عليه فهذه لا يذهبها شيء، ولا هي محضورة، بل هي مطلوبة ونافعة في الجهاد والدعاء إلى الدّين »"[3].

فالعصبية الطبيعية إذن هي ما يمكن أن نسميه الغريزة العدوانية، أي تلك التي تدفع الإنسان إلى السيطرة على إنسان آخر، وربما لطّف الدين أحياناً تأثير هذه الغريزة أو حول طاقاتها الأنانية نحو قضايا أجل قيّمة، غير أنها تعيد توكيد ذاتها وتتخذ أشكال مختلفة عندما تكتمل الظروف وتنضج، ومع ذلك فإنَّ هذه العدوانية نفسها تعمل في الوقت نفسه عمل قوة ترابط وتلاحم، قوة توحد الجماعات المتنوعة ليحملو تحت راية أو قضية مخصوصة أو مصلحة أو طريقة في العيش أو مهنة أو موطن، بعبارة أخرى قوة توجه الأنانية تحت تأثير الإيديولوجيات أو إرتباطات مخصوصة لذلك يوجد أنواع العصبيات بقدر ما يوجد أُناس مترابطون في جماعات المصالح المشتركة، وللقوة العصبية البدوية دور كبير في بعث الدولة والقيام بالحضارة، وذلك لأنَّ « العصبية في العمران البدوي تقوم بنفس الدور الذي تقوم به الأسوار والجند في العمران الحضري أي أنها قوة للمواجهة »"[4]، وذلك لأنَّ العمران البدوي ليس لديه حماة وجند للدفاع عنه كما هو الحال في العمران الحضري.

---

[1]- **إبن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم**، لسان العرب,دار المعارف,ج1, د ت, ص56.

[2]- **جمال شعبان**، قراءة جديدة في فكر إبن خلدون، مجلة المستقبل العربي، العدد(329)، مركز دراسات الوحدة العربية, 2006، ص96.

[3] - **إبن خلدون** ، (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ج3، دار الكتاب العلمية, بيروت , لبنان ، ط2، 2003 ، ص4 .

[4] - **محمد عابد الجابري**، مرجع سابق، ص 173.

وبالتالي فإنَّ الوسيلة الوحيدة للدفاع عنه هي العصبية التي تحمل في تطلعاتها كل مظاهر الشجاعة والقوَّة والدفاع ، « فالعصبية إذن خاصَّة بالمجتمع البدوي »"[1]، أكثر منها ماهي في المجتمع الحضري كون هذا الأخير، تتراجع فيه قوَّة العصبيَّة شيئاً فشيئاً حتى تضمحل وتتحلل.

لذا فإنَّ العصبية عند إبن خلدون. تؤسس المجتمعات و تساعد على بقائها، لكنها لا تضمن خلودها؛ لكون المجتمعات نفسها تسارع للتخلص منها وإضعافها وتقويضها، وعليه يمكننا القول بأنَّ للعصبية دور فعَّال في بناء الحضارة وذلك نظراً لما لها من قوَّة أهلها لبلوغ الأهداف لا شيئ سوى لأنَّ إتحادهم من أجل مطلب مشترك وهو الدفاع على أنفُسهم وكذا سعيهم لبناء نظام المجتمع.

وعليه يمكننا الإقرار بأنه من أهم النقاط التي تمر بها مرحلة البداوة في تشكيلها للحضارة ما يلي :

1- حتمية الإجتماع الإنساني; كون الإنسان مدني بطبعه ولأنَّ الضرورة تدعوه لذلك لإستمرار حياته وحفظ بقائه.

2- ضرورة التعاون البشري، وذلك لحفظ الإنسان لنفسه لأنه عاجز عن الدفاع عن نفسه لوحده فهو يحتاج دائمًا للتعاون مع غيره، وتوفير قوت يومه، ويحصل هذا الأخير إذا حصل التعاون مع بني جنسه.

3- دور مرحلة البداوة بكل سماتها الإيجابية من أسبقية وخير وأنفة وعزَّة وكرامة وشجاعة وقوة وعصبية في بلوغ مرتبة الحضارة .

[1] - **محمد عابد الجابري**، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني

تطور الحضارة عند إبن خلدون

- **المبحث الأول : الدولة و السياسة**

✓ المطلب الأول : تعريف الحضارة لغة و إصطلاحا

✓ المطلب الثاني : الشروط السياسية للقيام بالحضارة

- **المبحث الثاني : الدولة و الإقتصاد**

- **المبحث الثالث : الدولة و الرقي الفكري**

إنَّ الحضارة بكل بساطة، معناها بذل المجهود، بوصفنا كائنات إنسانية، من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم، من أي نوع كان، في أحوال الإنسانية و أحوال العالم الواقعي، وهذا الموقف يتضمن إستعداداً لأن نكون متأهبين للعمل إيجابياً في العالم والحياة، لأنَّ الحضارة تتقدم حينما يستلهم النَّاس عزماً واضحاً صادقاً على بلوغ التقدم ويكرّسون أنفسهم تبعاً لذلك لخدمة الحياة وخدمة العالم، فتطور الحضارة يرتبط بالملك فنحن لا نكاد نجد دولة قائمة دونه، إضافةً إلى الجانب الإقتصادي وماله من تأثير في تطور الحضارة، وكذا دور المجتمع من تربية وتعليم للأفراد لبلوغ مرتبة التطور الحضاري، ومن خلال هذا يمكننا طرح التساؤل التالي :

- ماهي العوامل التي تساهم في تطور الحضارة ؟

المبحث الأول : الدولة والسياسة

إنَّ ارتباط السياسة بالدولة ظاهرة طبيعية منذ القدم، فلا يمكن للدولة القيام والتطور دون تعاليم سياسية نابعة من الحاكم.

- فما هي الغاية التي يسعى إليها الملِك في القيام على شؤون دولته ؟
- وهل تطور الدولة يؤدي بدوره إلى تطور الحضارة ؟

المطلب الأول : تعريف الحضارة

عندما إنتقل الإنسان من مرحلة الإنسان البدائي وسار في طريق الإنسانية، أدرك المجتمع (société) والعلاقات الإجتماعية relations sociales القائمة فيه وأدرك بالتالي أنه لا يعيش لوحده وأنَّه يتقاسم مع غيره الحياة والوجود .

وبما أنه يتقاسم مع غيره هذه الحياة وهذا الوجود، فإنه بالضرورة يشاركه في دفع الضرر، وفي تبادل المنفعة، وتحقيق كل المطامح التي تكونت هذه العلاقات لأجلها والتي على أساسها قام المجتمع، فإنه يحقق بهذا إجتماعيته ومدنيته وبالتالي حضاريته، أي إنتاجه التقدمي ومعنى هذا كل عمل وجهد وإنتاج تتمثل فيه الخصائص الإنسانية والفكرية والوجدانية والسلوكية ... إلخ.

❖ فما مفهوم الحضارة (civilisation) ؟

* **مفهوم الحضارة لغة وإصطلاحا :**

1– **لغة** : ورد في لسان العرب **"**لإبن منظور**"** «أنَّ الحاضر هو المقيم في المدن والقرى وأنَّ البادي هو المقيم في البادية »"[1]. « والحضر والحضارة خلاف البادية »"[2].

ويوضح لسان العرب أنَّها : « المدن والقرى والريف، وقد سميت بذلك لأنَّ أهلها قد حضروا الأمطار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، فالحضارة هي إذن الإقامة في الحضر »"[3]، أي العيش في مكان ووفق معطيات أو بطريقة تختلف عن تلك المعهودة في البادية.

أمَّا عن زمن ظهور مصطلح حضارة فيذكر **"**عبد المنعم حنفي**"** في معجمه الشامل، أنَّ مصطلح حضارة قد أُستخدم لأول مرة سنة 1704م، بمعنى « التمدُّن أي التخلف بأخلاق أهل المدن واللّبس مثلهم والسلوك كدأبهم والتحدث بلغتهم»"[4].

أمَّا مفهومها فإنه « بعد هذا التاريخ باعتبار المدن حواضر، جمع حضارة، وهي المدينة الكبيرة،والحضارة الغربية،والحضارة الهندية، والحضارة الآسيوية، هي هذه الحضارات في مجموعها أو مجملها »"[5]، بما يسودها من أخلاق وأعراف وعادات وتقاليد ونظم وقيم وقوانين ولُّغات وثقافات وطرق عيش مختلفة.

وإضافة إلى المدينة تختلط كلمة حضارة بكلمة أخرى هي الثقافة، هذه الألفاظ الثلاث يكثر تداولها بصورة كبيرة على ألسنة العامَّة و الخاصَّة في كتاباتهم، حيث يستخدم الكثيرون الواحد منها بدلاً للآخر في صورة توحي بأنها مترادفة.

وقد حذَّر من قبل **"**عبد المنعم حنفي**"** من إختلاط المصطلحين حضارة وثقافة لتقاربها في المعنى، فيبين أنَّ كلمة حضارة،« أخذت تطلق على مظاهر الحياة المتقدمة والمتطورة في المجتمعات الغنية (الآلات والخبرة في ميدان

---

(1)- **إبن منظور**, لسان العرب ,المجلد الثاني ,دار صادر ,بيروت , ط1, ص103.

(2)– **الفيروز ابادي**, القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6،1998، ص 376.

(3)- **مرجع سابق**، الصفحة نفسها .

(4)- **عبد المنعم الحنفي**؛ المعجم الشامل– المصطلحات الفلسفية– , مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000، ص301.

(5)- مرجع نفسه, الصفحة نفسها.

الإنتاج، الثروة المادية)، أمَّا الثقافة فأصبحت تطلق على مظاهر الحياة الروحية والفكرية في كل مجتمع، متقدمًا كان أم متخلفًا »"[1].

كأن نقول مثلاً :

- ❖ الحضارة الغربية ونقصد بذلك التطور التكنولوجي، والثقافة الهندية ونقصد بذلك كل ما يصنعه المجتمع الهندي في المجال الروحي.

إضافة إلى هذا نجد " أندرية لالاند" André Lalande ، في موسوعته الفلسفية، يُعرّف الحضارة بأنَّها « مجموعة ظواهر إجتماعية مركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل تتسم بسمة دينية، أخلاقية، جمالية، فنية، تقنية، أو علمية ومشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو في عدّة مجتمعات مترابطة »"[2].

ونلاحظ جلي على أنه قد أكَّد على ما تضمنته كلمة حضارة من تطور علمي وتكنولوجي، وما أنتجه هذا التقدم من إنجازات وإبتكارات في مختلف ميادين الحياة.

2- اصطلاحا :

يحاول "كميل الحاج " أن يحدد مفهوم الحضارة الإصطلاحي، إذ يقول بأنَّها : « مجموعة الخصائص التي تتميز بها المجتمعات المتطورة »"[3].

ويحدد لها – حسب رأيه – علماء الأنثروبولوجيا اليوم معنيان :

أحدهما ذاتي والآخر موضوعي : « أمَّا المعنى الذاتي، فتُطلق على مرحلة سابقة من مراحل التطور الإنساني، المقابلة لمرحلة التوحش والهمجية »"[4]، بمعنى أنه إذا إتَّصف الفرد بصفات راقية وأخلاق عالية، قلنا أنَّه متحضّر وعلى العكس من ذلك، إذا إتَّصف بصفات متوحشة وهمجية قلنا أنه غير متحضّر.

و «أمَّا المعنى الموضوعي، فهو إطلاق لفظة حضارة على مجموعة من مظاهر التقدم العلمي والفني والتقني، التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد »"[5]، كأن نقول الحضارة الفرعونية والحضارة اليونانية والحضارة الغربية ...،جميعها متحضرة، متميزة بثقافتها ولغاتها ومعتقداتها الدينية، فهذه أمثلة لشعوب متحضرة، فنقول عادةً أنَّ مجتمع المدينة متحضر مقارنةً بالمجتمع الريفي أو البدوي وبهذا المعنى وُضِعت البداوة عندهم كنقيض للحضارة.

---

[1]- **كميل الحاج**, الموسوعة الميّسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1, 2000، ص206.

[2]- **أندريه لالاند**, موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة : خليل أحمد خليل، المجلد الأول A-G، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط2 2001، ص172.

[3]- **كميل الحاج**, مرجع نفسه, ص 206.

[4]- مرجع نفسه, الصفحة نفسها.

[5]- مرجع نفسه, الصفحة نفسها.

وقد عرفها "جميل صليبا" في معجمه الفلسفي إذ أنَّه أقَّر أنَّ للحضارة معنيان « أحدهما موضوعي مُشخَّص و الآخر ذاتي مجرد، أمَّا المعنى الموضوعي فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي واالفنِّي والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد »"[1]، أي أنَّ المعنى الموضوعي مرتبط بكل ما هو ظاهري كالتقدم التكنولوجي مثلاً، و« أمَّا الحضارة بالمعنى الذَّاتي المجرد فتُطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش، أو تُطلق على الصورة الفائية التي تسند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة »"[2]، فالحضارة في هذا المعنى ترتبط بما هو باطني كأخلاق الفرد مثلاً، فمن خلال خلاله وصفاته الحميدة نقول ونحكم عليه بأنه متحضّر.

وأمَّا عن" **أحمد محمود صبحي** "، فقد أكَّد على أنَّ الحضارة تتجسد في « علمائها ومفكريها وفلاسفتها وفنانيها وأربابها وأصحاب الحرف فيها »"[3]، وذلك لأنَّ الحضارة وإزدهارها مرتبطة بالنخبة المبدعة في المجتمع القادرة على السُّمو به لبلوغ رتبة التحضُّر.

المطلب الثاني : الشروط السياسية للقيام بالحضارة

إنَّ السياسة بكل تعاليمها شرط ضروري في القيام بالحضارة فلا يمكننا تصور وجود دولة قائمة بذاتها دون تعاليم سياسية تحكمها، فالطبيعة البشرية تستلزم الحياة الإجتماعية، وهذه الأخيرة لا يمكن أن تستمر إلاَّ بوجود سلطة سياسية، في يد حاكم قادر على منع التعدي ورفع التنازع. وقد بين إبن خلدون في مراتب عديدة من مقدمته على ضرورة وجود سياسة ينتظم بها أمر العمران البشري. « إعلم أنه قد تقدم لنا من غير موضع أنَّ الإجتماع للبشر ضروري، وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه، وأنَّه لابُدَّ لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه و حكمه فيهم تارة مسند إلى شرع مُنزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه ...إلخ، وتارةً إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم »"[4]، أي أنَّ العمران لا يمكن أن يحصل إلاَّ بشرط الاجتماع البشري، و هو شرط ضروري، و بدونه لن يتم العمران، و هذا الأخير يتطلب وجود حاكم يُنظم شؤون البشر حال اجتماعهم.

---

(1)- **جميل صليبا**، مرجع سابق، ص477.

(2)- مرجع نفسه, الصفحة نفسها.

(3)- **أحمد محمود صبحي**، في فلسفة التاريخ، دار المعرفة الجامعية, الاسكندرية, مصر، ط1, 1975,ص96.

(4)- **إبن خلدون**، مصدر سابق، ص 377.

إن حكم هذا الحاكم يقوم على جانبين، الجانب الأول هو الشرع، أي الأحكام الدينية وما تنص عليها من قوانين سياسية.

أمَّا الجانب الثاني يستند عليه الحاكم أحياناً أخرى هو الأحكام السياسية، التي تنشأ من الجانب العلمي القانوني العقلي، فيحكم من خلاله قصد جلب المصلحة ودرء المفسدة ، وعليه نجد بأنَّ هناك ثلاثة شروط حدد بها إبن خلدون السياسة :

1- التجمع البشري شرط للعمران
2- العمران يتطلب وجود حاكم
3- حكم الحاكم يرجع إلى :

حكم عقلي و حكم ديني، إذ نجد بأنَّ إبن خلدون قد حدد في رؤيته للسياسة جانبين جمع فيهما بين العقل والنقل، وهو ما يأخذُنا للقول بتوفيقية إبن خلدون في السياسة، والتي ترجع إلى أنَّهُ من المشائين و الرشدية التي اتسمت بالتوفيقية ، فتأثر إبن خلدون بابن رشد تجلى في هذه الفكرة. و قد ربط إبن خلدون بين تطور الدولة و الجانب الدّيني « وذلك لأنَّ الملك يحصل بالتغلب، والتغلب إنَّما يكون بالعصبية وإتفاق الأهواء على المطالبة، وجمع القلوب وتأليفها إنَّما بمعونة من الله في إقامة دينه »"[1].

أي أنَّ الدين يؤلف بين القلوب ، ويذهب التحاسد بين أفراد الدولة وهذا ما يؤدي بدوره إلى اتفاق أهوائهم، ويحملهم ذلك بطبيعة الحال إلى التعاون والتعاضد، لا لشيء سوى لأنَّ الدعوة الدينية تزيد الدولة قوَّة على قوَّة عصبية أهلها، بل ذهب إبن خلدون إلى حد الإقرار على أنَّ ارتباط العصبية بالدّين يؤدي إلى النصر والغلبة حتى وإن كان أفراد تلك الدولة قليل، لأنَّ الدين يوحد وجهتهم ويقوي عصبيّتهم مما يؤدي إلى نصرتهم.

فتقدم الحضارة يتوقف بصفة جوهرية على مزايا الدولة، من قوَّة وعدل وكرم، وتزداد الدولة تطوراً كلما طالت مدَّة السلطة الحاكمة، وهي ترتبط ارتباطا وثيقاً بالعصبية، لأنَّ تطورها مرتبط بقوة عصبيتها، فعلى الدولة إذن تعزيز عوامل العصبية وروابطها وذلك من خلال « وجود عصبية عامَّة تتعدى عصبية النسب إلى الالتحام

(1)- **محمد العبده**، مرجع سابق، ص62.

الاجتماعي أو الروحي، فالدول العظيمة، تحتاج عصبية عامَّة بينما الدول الصغرى لا تحتاج أكثر من عصبية النسب »"[1].

وذلك لأنَّ العصبية العامَّة تشمل كل العصبيات الخاصة، كون هذه الأخيرة ليست شاملة للدولة ككل بل ترتبط فقط في مناطق معينة في تلك الدولة، « كالدولة البويهية مثلاً هي دولة خاصَّة بالنسبة إلى الدولة العباسية التي تشملها وتشمل غيرها من الإمارات مما جعلها دولة عامَّة »"[2].

وذلك لأنَّ الدولة ذات العصبية العامَّة تكون مسيطرة على المناطق ذات العصبيات الخاصَّة، كما أنَّ الدولة العامَّة لا تخضع لغيرها بأي شكل من الأشكال ، وتسعى في مقابل هذا إلى كسب أفرادها وذلك بتحقيق الرفاه المادي والحماية والأمن ، لا شيء سوى لأنَّ « الملك في الحقيقة لمن يسعد الرعية، ويجني الأموال ويبعث البعوث، ويحمي الثغور، ولا تكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور »"[3].

تحقق هذه المواصفات التي يمكن اعتبارها بمثابة شروط لوحدها، بل لا بُدَّ له من الالتحام مع حاميته وأفراد دولته ويتم ذلك من خلال العصبية العامَّة والكلية، وذلك لأنَّ هذه الأخيرة هي التي تحقق ذلك اللِّحام الكلي والمشترك الذي يوَّحِد صفهم، وتشترك بذلك أهدافهم، وهو ما يؤدي بدوره إلى السُّمو بالدولة وتطورها.

وفي ظل هذا بإمكان الدولة أن يستمر حكمها لمدة طويلة ، « وذلك لأنَّ العنصر الذي يمنح الدولة قوَّة تأثير ويعمل على تطورها هو العصبية العامة ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني الإلتحام والكثرة في العدد، وكذلك إتّساع نطاقها مرتبط بحال عصبيتها وحال عصبية الدولة التي تريد إخضاعها »"[4]، أي أنَّ الدولة التي تبنى على العصبية العامة، يكون الإلتحام بين أفرادها كلياً كالعضو الواحد ، وهذا ما يسهل بدوره على الدولة القائمة على العصبية العامة من إخضاع دويلات أخرى تكون عصبيّتها أضعف، ممَّا ينتج عنه إتّساع مساحة الدولة ذات العصبية العامة التي تتظافر فيها جهود أفراد الدولة والحماة والملك للحفاظ على الدولة وكذا تطوراتها.

وبإتّساع نطاق الدولة فإنَّ هذا يؤدي إلى تطورها ولكن غير المقابل لا بُدَّ من توفر عدد كبير من حماة الدولة على الأطراف، فإذا أراد الملك الحفاظ على الدولة لا بد عليه من توفير أكبر قدر ممكن من الحماة لأنَّ «

---

(1)- **جاسم سلطان**، مرجع سابق، ص31.

(2)- **محمد عابد الجابري**، مرجع سابق، ص212.

(3)- **مصطفى الشكعة** ، الأسس الإسلامية في فكر إبن خلدون و نظرياته، الدار المصرية اللّبنانية، القاهرة، ط3، 1992، ص67.

(4)- **محمد عابد الجابري**، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

عظم الدولة وإتّساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة ... فما كان من دولة العامَّة قبيلها وأهل عصبيتها أكثر ، كانت أقوى وأكثر مماليك وأوطاناً ، وكان ملكها أوسع »"[1]، أي عظم الدولة وقوتها يقاس بنسبة القائمين عليها بالكثرة أو العكس.

وإضافة إلى هذا فإنَّ كل شيء في الدولة مرتبط بالعصبية، فإذا كانت العصبية الجامعة بين الملك وأفراد دولته عامَّة وكلية أي مشتركة بين أفراد الدولة ككل فإنَّ هذا يساهم إلى حد بعيد في حماية الدولة وتطورها، ممَّا يؤدي بدوره إلى تطور الحضارة وإزدهارها.

وقد شبه إبن خلدون الحضارة بالكائن الحي، فهي تمر بنفس المراحل التي يمر بها الإنسان، فالمرحلة الأولى بالنسبة للإنسان، هي مرحلة الطفولة، ويقابله فالحضارة، مرحلة النشأة والتأسيس ، أمَّا المرحلة الثانية عند الإنسان، فهي مرحلة الشباب، أمَّا في الحضارة فقد عبر عنها إبن خلدون بمرحلة العظمة والمجد والتطور والازدهار والمرحلة الثالثة عند الإنسان هي مرحلة الشيخوخة، وفي الحضارة أطلق عليها لفظ التدهور والإضمحلال، ولا يسعنا في هذا المقام التطرق إليها كاملة، باستثناء جيل العظمة والمجد، والذي عُبِر عنه بالجيل الثاني، وقد « تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب »"[2]، فالدولة في مرحلتها الأولى تعتمد على متطلبات الحياة الضرورية فقط، ولكنه عندما يحصل لها الملك، فإنَّ هذا الأخير يتبعه الرفاه والازدهار وإتساع الأحوال.

لأنَّ تطور الدولة وأطوارها لا تعني في ذهن إبن خلدون، إلاَّ هذه العملية ذاتها، أي عملية انتقال الرئاسة والملك من فرع إلى آخر أكثر تطوراً داخل العصبية الغالبة، وعليه فإنَّ هناك استمرارية في الدولة ، ونفهم من خلاله أنَّ هناك إستمرارية في الحضارة والعمران، فقد أكَّد ذلك، من خلال العصبية العامَّة الحاصنة للعصبيات الخاصَّة.

وممَّا تقدم يمكننا القول، بأنَّ الغاية التي يسعى إليها الملك في قيامه على شؤون دولته، هو تطويرها لبلوغها مرتبة الحضارة، وما ينجر عن هذه الأخيرة من ترف ورخاء وعظمة ومجد، ويتم هذا من خلال إتّحاده مع أفراد دولته عن طريق العصبية، بكل ماتحمله من لحام وتعاضد وتكاتف .

(1)- **محمد عابد الجابري**، مرجع سابق، ص 213.

(2)- **ضياء الدّين رجب شهاب الدّين**، مرجع سابق، ص236.

وهذا ما يؤدي به إلى نقل أفراد دولته من حياة البساطة إلى حياة الرفاهية والتفنن في الترف، وهذا الأخير يؤدي إلى كثرة التناسل، ممَّا ينتج عنه الكثرة في العدد، وبالتالي تكثر العصائب وحماة الدولة، وهذا ما يزيد الدولة قوَّة وتطوراً وإزدهاراً، لأنه « من طبيعة الملك الترف، وذلك أنَّ الأمَّة إذا تغلبت وملكت ما بأيدي الملك قبلها، كثر ريشها ونعمتها، فتكثر عوائدهم، ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته إلى نوافله ورقته وزينته »"[1]، وهنا بلغت الدولة مرتبة الحضارة وتطورها وإزدهارها.

(1)- **محمد العبده**، مرجع سابق، ص71.

المبحث الثاني : الدولة والإقتصاد

إنَّ العصبية هي المسؤولة عن قيام الدول وتطورها وإتّساع رقعتها، وبالتالي فإنَّ العصبية هي المحرك الفعلي للتاريخ، ولكن التعمق في آراء إبن خلدون لتطور الدول وقيامها، يكشف لنا عن عامل آخر أهم ذا صبغة إقتصادية, وعليه يمكننا طرح التساؤل التالي :

❖ ماهي الأهمية التي يشغلها الجانب الإقتصادي في تطور الدولة ؟

لقد درس إبن خلدون كل مظاهر المجتمع، وكل ما ينتج عنه، حيث أنَّه صرّح في بداية دراساته على إعطائه الحق للإنسان في إستثمار الطبيعة لصالحه ولخدمته إذ يستند في ذلك على أساس ديني إذ يقول « والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان وإمتنَّ به عليه »"[1]، وخلق له جميع الأشياء ولكن ما هو واجب على الإنسان هو العمل وبذل الجهود لتسخير الطبيعة لصالحه .

وقد كرر إبن خلدون هذه الفكرة في مواضع متعددة من المقدمة وبيَّن بأنَّ الكسب هو قيمة الأعمال البشرية، لأنه من خلال سعي الإنسان وعمله يمكنه تحقيق المكاسب، فكثرة الأعمال هي سبب الثروة، ولا بدَّ في الرزق والكسب من العمل وهذه كلها هي قيم أعمال أهل الحضر، لأنَّ الصنائع والأعمال تكون غالباً مرتبطة بأهل الحضر وسبب ذلك كثرة الحاجة للترف بسبب كثرة العمران ممَّا يتطلب بذل مجهود أكثر للعمل.

وقد أقرَّ إبن خلدون في الفصل الثاني من مقدمته بأنَّ إختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو راجع لإختلاف نحلتهم في المعاش، وقد قادته هذه الفكرة إلى دراسة عدَّة مقولات إقتصادية، مثل دراسة الأساليب الإنتاجية التي تعاقبت على المجتمعات البشرية ، وإنتقال هذه الأخيرة من مرحلة البساطة إلى مرحلة أكثر تعقيداً وتركيباً، أي من الزراعة إلى الصناعة فالتجارة، وقد إعتبرها إبن خلدون وجوه طبيعية للمعاش.

(1)- **إبن خلدون**، مصدر سابق، ص476.

وأول هذه المراحل الفلاحة و ذلك لأنه « لما كانت الزراعة أول مظاهر الحضارة فإنَّ الإنسان يبدأ بحرث الأرض وزراعتها ليؤمّن مستقبله ثم يجد الوقت بعد ذلك لكي يتمدن »"[1]، وذلك في كون الزراعة تعتبر أول خطوة في عملية التطور الإقتصادي تليها مرحلة الصناعة لأنها مركبة وعلمية أي أنها تحتاج إلى بذل جهد بدني وفكري بإعمال العقل، وهي السبب الأساسي في الإزدهار الإقتصادي، ثم تأتي مرحلة الإنتاج والتجارة وهي المرحلة الثالثة والأخيرة .

وكل هذه المراحل من زراعة وصناعة وتجارة نابعة من الجهد الإنساني وعمله، وقد وضح إبن خلدون على أنَّ إكتساب المال والثروة لا يعتمد على الحظ أو السحر ، فالكثير من ضعفاء العقول يعتقدون أنَّ المال والثروات تركه الأسلاف تحت الأرض مختوم عليهم بطلاسم سحرية ، يتم فكها عن طريق تقديم القربان ووضع البخور والدعاء، وهذا خاطىء بل إبن خلدون أكَّد على أنَّ إكتساب المال وتطوير الإقتصاد ، يتم عن طريق الكد والعمل والجهد ، وقد يكون هذا الجهد المبذول من طرف الإنسان ذاته، أو عن طريق إستخدام الحيوانات وتسخيرها لصالحه، وهذا ما نجده في الزراعة، وقد يكون هذا الجهد أيضاً من خلال إستغلال خيرات الطبيعة لتطوير الإقتصاد. وذلك لأنَّ « الكسب من الأعمال الإنسانية، إمَّا في مواد معينة وتسمى الصنائع (من كتابة وتجارة وخياطة... إلخ)، أو في مواد غير معينة وهي جميع الإمتهانات و التصرفات وإمَّا أن يكون في البضائع وإعدادها للأعواض إمَّا بالتقلب بها في البلاد أو إحتكارها ويسمى هذا تجارة، فهذه وجوه المعاش وأسبابه »"[2].

أي أنَّ الوسيلة الطبيعية للكسب هي الزراعة، كونها أقدم حرفة للإنسان ولأنها قريبة جداً من الطبيعة، وهي أبسط وسيلة لتحصيل الرزق، نظراً لأنها لا تتطلب دروساً ولا علماً بل ترتبط بالتجارب فقط، ولكنها في المقابل ضرورية، فنحن لا نكاد نتصور مجتمع أو دولة تعيش بدون زراعة لأنَّها قبل كل شيء مصدر لغذاء الإنسان وكذا الحيوان، ثمَّ إنها المصدر الأكثر إنتاجاً والأقل تكلفة، فهي منتجة للحكومة ومنتجة للزراع، وذلك لأنَّ الحكومة تفرض ضرائب مالية على الأراضي المنزرعة، ممَّا يعود عليها بالفائدة، وكذلك تهتم وتعتني بسعادة رعاياها من خلال تشجيع الزراع على تطوير الزراعة.

(1)- **محمد حسين محاسنة**، أضواء على تاريخ العلم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة, ط1، 2001، ص19.

(2)-**مصطفى النشار**، تطور الفكر السياسي من صولون حتى إبن خلدون، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ,القاهرة، ط1، ص304.

ولأنَّ الزراعة تنتج في أغلب الأحيان أكثر ممَّا يستهلك الزراع، ثمَّ إنَّ للزراع حاجات أخرى لا تسدها الزراعة لذا يستبدل الزراع فائض محصولهم بأشياء أخرى هم بحاجة إليها وهو ما يعرف بالتجارة وهي مرحلة أكثر تطوراً من الزراعة، لأنها تعتمد على تقنيات في البيع والشراء، « وأمَّا التجارة و إن كانت طبيعية في الكسب، فالأكثر من طرقها ومذاهبها إنَّما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصيل فائدة الكسب من تلك

الفضلة »"[1], لأنه من خلال التجارة تحصل الفائدة ويحصل الكسب، وقد أقَّر إبن خلدون على أنَّ التجارة هي محاولة الكسب بتنمية المال من خلال شراء السلعة بثمن بخس وبيعها بالغلاء، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً، وهذا الربح يخدم صاحبه ويخدم الدولة ويطورها، لأنه من خلال التجارة يزداد البيع والشراء، وبالتالي تكثر العلاقات والتعاملات بين الأفراد، وقد يمتد ذلك خارج الدولة، فتصبح تصدر وتستورد، ممَّا يساهم هذا بشكل كبير في تطوير الإقتصاد الذي يؤدي بطبيعة الحال إلى تطوير الدولة الذي يساهم بدوره في السُّمو والرقي بالحضارة.

فالتجارة هي فنّ يستخدمه الخبير، وذلك لأنه يحسن التعامل مع الآخرين لإقتناء سلعته من جهة ويعرف كيف يحقق فوائد وأرباح لصالحه من جهة ثانية، وعليه فإنَّ « فنّ التجارة هو عبارة عن الشراء بثمن بخس ثمَّ البيع بثمن مرتفع »"[2]، وذلك لأنَّ التاجر الخبير هو الذي يعرف كيف يتعامل مع قانون العرض والطلب في الأسواق، ويدرك بأنَّ الأسعار ترتفع عندما يزداد الطلب و يقل العرض، وتنخفض عندما يقل الطلب ويزداد العرض، فعلى التاجر الخبير أن يتماشى مع هذه الرؤية ليحقق الأرباح، كما أنه لابد أن يراعي في تسويقه للسلعة ما هو مطلوب من طرف المستهلك، فهناك ضروريات يقتنيها الإنسان ولا يمكن أن يعيش بدونها، وهناك كماليات بإمكانه الإستغناء عنها .

ولا يمكننا في هذا المقام إغفال جانب آخر يُنمي العمران ويطور وتزدهر بفضله الحضارة وهو الجانب الصناعي، فالزيادة على الطلب تتولد عنها نتائج لا تنحصر فقط في إرتفاع الأسعار، بل تمتد إلى إقبال الناس على إمتهان الصناعات التي يكثر عليها الطلب.

---

(1)- **مصطفى الشكعة**، مرجع سابق، ص57.

(2)- **طه حسين**، فلسفة إبن خلدون الإجتماعية، مطبعة الإعتماد بشارع حسن الأكبر، مصر، ط1، 1925، ص153.

وذلك لأنه « إن كانت الصناعة مطلوبة و توجه إليها النفاق، كانت حين إذن الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها و تجلب للبيع، فتجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم »"[1]، وعلى العكس من ذلك فإن كانت الصناعة غير مطلوبة فإنه لا يوجد في المقابل قصد لتعلمها، وبالتالي فإنَّ الصناعات المطلوبة هي سبب إزدياد العمران وإستفحال الترف.

بهذه الصورة يربط إبن خلدون مسائل العرض والطلب بالأحوال الإجتماعية العامَّة ودورها في تطوير الدولة وبالتالي تطوير الحضارة.كما أنَّه ربط اليد العاملة بقانون العرض والطلب لأنه كلما إرتفعت نسبة اليد العاملة أدَّت بذلك إلى تطوير الإقتصاد في مختلف مجالاته.

وعليه يمكننا القول بأنَّ الجانب الإقتصادي له دور كبير في تطوير الدولة، لأنَّ به يتم كسب المال، وبالمال تحقق الدولة الرفاه، والرفاه مظهر من مظاهر التطور، وهذا الأخير سمة من سمات إزدهار الحضارة .

(1)- **إبن خلدون**، مصدر سابق، ص505.

المبحث الثالث : الدولة والرقي الفكري

إنَّ الحضارة تشتمل على النشاط الإجتماعي من كافة جوانبه الروحية والمادية ، فالحضارة جسم وروح مثل الإنسان تمامًا، فجسم الحضارة يتمثل فيما هو ظاهر للعيان ، أمَّا روحها فتتجسد فيما هو باطني، ولكنه سبب رئيسي في تطور الحضارة من تربية وتعليم التي تتجسد في سلوك الأفراد والجماعات إتجاه المجتمع.

❖ فما هو دور العلم والتعليم في تطوير الدولة ؟

إنَّ النظام الفكري و التعليمي له دور فعال في القيام بالحضارة، لأنَّ العلم والتربية عاملان من عوامل البناء الحضاري، لأي مجتمع من المجتمعات، لما يترتب على تطبيقاتهم من آثار واضحة على مسيرة الإنسان الحضارية. فالتربية عنصر أساسي لقيام أي علم على أسس سوية ويظهر ذلك من خلال تعريفات التربية المختلفة :

-التربية في اللغة :

يتضمن مصطلح التربية دلالات لغوية متعددة تشير جميعها الى ما ينبغي ان تتضمنه العملية التربوية من انشطة, كما يتضح ما يلي:

«أ- الإصطلاح : رَبَّ الشيء إذ أصلحه ، والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة وإنَّما التعديل والتصحيح.

ب- النماء والزيادة : ربى، يربو، بمعنى زاد ونمى، ورب المعروف والصنيعة والنعمة، أي نماها وأتمها وأصلحها.

ج- نشأ وترعرع : ربيَ، يربَى على وزن خفِيَ، يخفَى، أي أنشأ وترعرع.

د- ساسه وتولى أمره : ربيت القوم أي سستهم أي كنت فوقهم.

هـ- التعليم : قال إبن منظور : الرباني من الرب، بمعنى التربية بمعنى التربية.

وقال الأعرابي : الرباني العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلوم قبل كبارها »[1].

(1)- **خالد بن حامد الحازمي**، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع, ط1, 2000,ص 19.

– التربية في القرآن الكريم : وردت كلمة التربية وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم بمعاني متقاربة منها مايلي :

أ– الحكمة : العلم، التعليم : قال تعالى { ولَكِن كُونُوا رَبَانِيينَ بِمَا كُنتُم تَعلَمُونَ اَلكِتَابَ وَبِمَا كُنتُم تَدرُسُون }"[1].

ب– الرعاية : قال تعالى { وأخفض لهما جناح الذُّلِ من الرحمة وقل ربي إرحمهما كما رباني صغيرًا}"[2].

وقد رأى إبن خلدون بأنَّ للتربية ثلاثة أهداف تتجسد في :

1- إعطاء الفرصة للفكر لكي ينشط
2- إعطاء الفرصة للإنسان لكي يحيا حياة راقية
3- إعطاء الفرصة للإنسان لكسب الرزق « والسبب في ذلك أنَّ تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع »"[3]، فضرورة العلم تأتي لإعمال العقل والحواس، وجميع الملكات الإنسانية، وذلك بهدف إستثمار الإنسان لما يحيط به لخدمته وسعادته دون أن يشقى.

لأنَّ العلم يدفع الإنسان إلى التفكر و التدبر و الإبداع ، فالعلم مثله مثل باقي الصنائع أي لابُدَّ فيه من الممارسة الدائمة، عن طريق التعلم، لإكتساب الإحترافية والتعامل مع الآخرين، في شتى مجالات الحياة فهو مثله مثل الصناعة التي نمارسها وقد ربط إبن خلدون بين العلم والقيام بالحضارة، لأنَّه كل ما تطور العلم أدى بدور إلى السمو بالحضارة، فبما أنَّ الله ميَّز الإنسان بعقله وتفكيره، وجعله فارقاً بين الإنسان والحيوان، فإنه بذلك مصدر قوته، لأنَّه من خلاله يُحصِّل الإنسان معاشه، ويحسن أساليب وطرق عيشه من البسيط إلى الأرقى والأحسن، بإستثمار ما يحيط به من طبيعة و حيوانات و تسخيرها لصالحه، عن طريق تفكره وتفكيره بإعمال عقله.

ودليله أنَّ أفعال الحيوانات وسلوكاتها تبقى هي هي، لا تتغير ولا تتطور، كونها غريزية، إعتيادية، فطرية، في حين أنَّ أفعال الإنسان وسلوكاته، متطورة على تطور العلم، النابع من إدبار العقل.

كما أنَّه لتطور الحضارة جهود متضافرة نابعة من الأسرة والمجتمع، بتشكيل أفراد من خلال تعليمهم وتربيتهم تربية صالحة.

---

(1)- **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية(79).

(2)-.**مصدر نفسه**، سورة الإسراء، الآية(24).

(3)- **إبن خلدون**، مصدر سابق، ص548.

حيث أنه « إذا تمت تربية الأبناء تربية صحيحة سليمة من الشوائب ازدانت البيوت بالفضائل والمكارم وصالح الأعمال، وبالتالي تساهم في بناء المجتمع من خلال نشر الفضيلة ونبذ الرذيلة ومن ثم تظهر آثارها في مجالات متعددة من حياة المجتمع »"[1]، لأنَّ التربية النابعة من الأسرة، إذا كانت سليمة، فإنَّها تؤدي بدورها إلى إنتشار الأخلاق في المجتمع، وهذا الأخير يؤثر على السمو بالدولة، وتطور الحضارة.

لأنَّ العلاقة بين المجتمع والدولة والحضارة علاقة تكاملية ، فتطور المجتمع يؤدي بدوره إلى تطور الحضارة، أي أنَّ التربية وما ينتج منها من علم وتعليم تؤثر تأثيراً كبيراً على تطور أو إنحطاط الدولة.

فإبن خلدون ربط التربية والتعليم بالمجتمع، حيث أنَّه بين بأنَّ المعرفة عند السابقين أي عند اليونان، كانت قائمة على النزعة المثالية، وأنَّ الحقيقة تكمن فقط فيما هو ثابت، وأنَّ المتغير يستحيل أن تقوم حوله معرفة علمية، فجاء إبن خلدون وأحدث القطيعة ونقل العلم من بحثه عن الماهيات إلى بحثه عن الخصائص الموضوعية للأشياء .

أي أنه إنتقل من الجانب النظري إلى الجانب الواقعي المرتبط بالمجتمع، حيث أنَّه إتجه إتجاهاً جديداً في بحوثه الإجتماعية، وأعلن بأنَّ التطور والتغير هو سنَّة الحياة الإجتماعية، وذلك لأنَّ الظواهر الإجتماعية غير قابلة للركود والدوام على حالة واحدة، ومن ثم كانت الأنظمة الإجتماعية متباينة حسب المكان والزمان.

«ومن تشوف بفطرته إلى العلم مِمَّن نشأ في القرى والأمطار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في أهل البدو »"[2]، فالعلوم تزدهر بحسب الزمان والمكان وقد بين إبن خلدون بأنَّ التعليم مثله مثل الصناعات الأخرى وهذه الصنائع تكثر حيث يكثر التحضر، فنجد بأنَّ العلم يزدهر في المدن والأمصار المتمدنة أكثر من القرى المنعزلة.

فالعلم يزدهر في المدن كونه يرتبط بالجانب الإقتصادي، فيسعى النَّاس لتعلمه « وذلك أنَّ الحِذق في العلم والتفنُّن فيه والإستلاء عليه، إنَّما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله وإستنباط فروعه من أصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفنّ المتناول حاصلاً وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي »"[3]، أي أنَّ العلم يؤدي وظيفة حياتية معيشية كونه إحدى الصناعات التي تعتبر من وسائل الكسب والرزق، وإضافة إلى ذلك فإنَّه ينظر إلى تعليم العلم كصناعة قائمة بذاتها، لها هدفان :

---

(1)- **خالد بن حامد الحازمي**، مرجع سابق، ص39.

(2)- **أبو صهيب الكرمي**، تاريخ إبن خلدون، بيت الأفكار الدولية ، المؤتمن للتوزيع، د ط, د ت, ص221.

(3)- **أبو صهيب الكرمي**، مرجع نفسه، ص219.

1- هدف إقتصادي معيشي

2- هدف فكري إنساني

وأهم صناعة في العلم حسب إبن خلدون هي إكتساب ملكته. لا لشيء سوى لأنَّ الإنسان متميزاً عن غيره بفكره السامي، الذي يرشده إلى تحقيق مختلف غاياته في هذه الحياة ويهديه إلى طريق الصواب، وتحصيل المعاش والتعاون مع غيره لبلوغ الأهداف المشتركة.

وقد أكَّد إبن خلدون على فكرة جوهرية تكمن في أنَّ تطور النظام الفكري في المجتمع سببه إرتباطه بالجانب الأخلاقي، أي أنَّ الأخلاق تؤثر إلى حد بعيد بتطور الحضارة، لأنها عندما ترتبط بالعصبية فإنَّها تساهم بشكل كبير في إزدهار الحضارة.

يقول طه حسين « تحفظ العصبية و الفضيلة للقبيلة قوتها ، و تؤهلانها للقيام بالفتح »"[1]، فالفضيلة وما تحويه من علم مبني على الأخلاق، يؤثر بشكل أو بآخر على تطور الحضارة ، وخاصَّة عندما ترتبط بالعصبية فلا يقف أمامها شيء يمنع من بلوغ الأهداف في السمو بالحضارة .

وقد قسَّم إبن خلدون العلوم إلى قسمين :

1- علوم عقلية : وقد خصص لها « الفصل الذي جعل عنوانه بالعلوم العقلية وأصنافها وقد شغل هذا الفصل بالحديث عن المنطق والفلسفة بالمعنى الذي نقصده وما ألف فيها قديماً وحديثاً وخاصَّةً عند اليونان

والعرب »"[2].

وهي علوم يصل إليها الإنسان بمحَض تفكيره مثل الرياضيات وهي تخدم الفرد والمجتمع ومن خلالها تتطور الدولة، لأنَّه عندما يتعلم الفرد الرياضيات والحساب يستطيع التعامل مع الآخرين في الجانب الإقتصادي وبصفة خاصة في التجارة التي تساهم في تطور الدولة بشكل كبير .

(1)- **طه حسين**، مرجع سابق، ص106.

(2)- **علي عبد الواحد وافي**، عبقريات إبن خلدون، شركة مكتبات عكاظ للنشر و التوزيع، ط2، 1984، ص181.

2– علوم نقلية : وهي علوم « تؤخذ عن من وضعها وهي لا تحتاج إلى العقل إلاَّ في حالة إلحاق الفروع بالأصول وهي العلوم الشرعية »"[1].

وهذه العلوم يأخذها الفرد عن من وضعها قبله، أي الأنبياء، وهو علم مرتبط بالشرعيات من الكتاب والسنَّة، ولا مجال للعقل الإنساني هنا سوى الإنقياد.

لأنَّ هذه العلوم بمثابة أوامر قطعية تهدف لجلب المصلحة للفرد ودرء المفسدة عنه، فهي بطبيعة الحال تخدم الفرد والمجتمع وتعمل على تطوير الدولة، فقد عالجت هذه العلوم مختلف الجوانب الإجتماعية، الإقتصادية، السياسية، المرتبطة بالإنسان، وقد إختار إبن خلدون الطريق الوسط فإعترف بالعقل وبدوره في حدود طبيعته المادية، وكذا الفطرة التي فطرهُ الخالق عليها ليحقق المرتبة التي إختارها الله له عن سائر خلقه ، فكان للعقل عنده مجاله، وللشرع مجاله.

وعليه فإنَّ دور العلم و التعليم أساسي للقيام بالدولة وتطور الحضارة، لأنَّ العلم يرتبط بمختلف الميادين التي تمس الدولة وهي سبب في تطورها.

وعليه فبإزدهار العلوم يزدهر المجتمع الذي يساهم بدوره في تطور الحضارة، أي أنَّ العلاقة تكاملية بين العلم والمجتمع والدولة والحضارة.

وعليه يمكننا الإقرار بأنَّ تطور الحضارة يتطلب عملية تكاملية بين دور الملك في تطوير دولته، وذلك من خلال سعيه إلى تعزيز روابط العصبية وذلك من خلال العصبية العامَّة التي تطبقها الدول العظيمة إظافة إلى فرض قوته من خلال سيطرته وهيمنته، وكذا العامل الإقتصادي نظراً لما للمال من أهمية في ترف الدولة وتطورها، وهذا لا يمنعنا من إغفال دور المجتمع من خلال العلم والتعليم في بعث الدولة وتطور الحضارة.

(1)- **عبد الأمير شمس الدّين**، الفكر التربوي عند إبن خلدون و إبن الأزرق، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص33.

الفصل الثالث

أسباب إنهيار الحضارة عند إبن خلدون

- المبحث الأول : أسباب سياسية
- المبحث الثاني : أسباب إقتصادية
- المبحث الثالث : قيام الدولة المستجدَّة

لقد بيَّن إبن خلدون من قبل أنَّ القوَّة الأساسية التي بها تتأسس الدولة هي العصبية، ومن خلال دراستنا للفصلين الأول والثاني من تشكل الحضارة وتطورها، تبينَ أنَّ العنصر الذي به تبنى الدولة مجدها وعظمتها هو المال، وعليه فإنَّ العصبية والمال هما الدعامتان الرئيسيتان اللَّتان عليهما يقوم كيان الدولة، فبالعصبية والشوكة تستطيع العصبة الثائرة المطالبة إحراز النصر وتأسيس الملك، وبالملك تستطيع هذه العصبة أن تبني مجدها، والهرم إنَّما يصيب الدولة إذا أصاب إحدى هاتين الدعامتين ضعف أو خلل، والذي يؤدي بدوره إلى المساهمة في قيام الدولة المستجدة .

وعليه يمكننا طرح التساءل التالي :

- ❖ كيف يتطرق الخلل إلى الدولة ؟
- ❖ وما هي الأسباب التي تؤدي إلى سقوط الحضارة ؟ وإلى قيام الدولة المستجدة ؟

المبحث الأول : أسباب سياسية

إنَّ الإنتقال من خشونة البداوة إلى رِقَّة الحضارة يعني الإنتقال من مجتمع الحرمان، الذي يشكل فيه التضامن والإلتحام السلاح الوحيد في صراع الإنسان ضد الطبيعة من أجل البقاء، إلى مجتمع يغدو فيه الصراع لا صراعاً من أجل البقاء، بل صراعاً من أجل المصلحة الشخصية.

- ففيما تتجلى آثار الصراع من أجل المصالح الخاصَّة ؟
- وما هو تأثير هذا الصراع على الحضارة ؟

إنَّ عوامل تحضر الدولة هي ذاتها عوامل تدهورها، ذلك أنَّ الحضارة وإن كانت غاية العمران فهي في الوقت نفسه مؤذنة بنهاية عمره.

وأول هذه العوامل هو العصبية، حيث أنَّ آثار صراع المصالح يتجلى في فساد العصبية، وذلك بتفكك ذلك اللّحام الذي جعل من أفراد العصبية الثائرة المستولية على الحكم وحدة متجانسة، وجماعية يطغى فيها الأنا الجمعي، ويسيطر فيها الأنا العصبي على الأنا الشخصي، هذه العصبية تفسد وهذه الوحدة تنحل وتتفكك، فبعدما كان الصراع على مصلحة مشتركة ، وهو صراع يتحد فيه الملك مع أفراد دولته و أهل عصبيته من أجل الحفاظ على الدولة وتطويرها ، يتحول الصراع إلى صراع داخلي، وهو صراع من أجل المصالح الخاصَّة.

وبالتالي تنتقل الدولة من عالم فرض هيمنتها وقوتها بفضل إتحاد عصبية القائمين لها، إلى عالم صراع مصالح القائمين عليها، الذي يؤدي بدوره إلى إنحلال العصبية.

« إعلم أنَّ مبنى الملك على أساسين لابُدَّ منهما فالأول الشوكة والعصبية ... والخلل إذا طرق الدولة طرقها في هذين الأساسين »"[1]، فالدولة في البداية تتأسس بالعصبية، لأنَّ العصبية تخدم المجموعة، والعصبية ليست هي النسب بل إنَّها ثمرته، وثمرة النسب إنَّما تنضج وتؤتي أكلها عندما تكون هناك حاجة إلى التضامن والتعاضد من أجل حفظ البقاء،أو من أجل المطالبة والسعي من أجل عيش أفضل .

أمَّا عندما تحقق المطالبة هدفها في الملك والسلطة فإنَّ التناصر ينقلب إلى تناحر، والتعاضد إلى تخاذل، والكفاح المشترك من أجل المصلحة المشتركة يتحول إلى صراع ونزاع من أجل مكاسب شخصية ومصالح خاصَّة.

فالعصبية ينتفي دورها عندما ترتبط برابط المصلحة، وبالتالي تنحل تلك الوحدة السياسية التي تجسدها الدولة لأنَّ الأساس الذي قامت عليه هذه الوحدة قد إنقلب إلى عكسه، ففي البداية عندما يؤسس أهل العصبية الدولة

---

[1]- **إبن خلدون**، مصدر سابق، ص363.

وتتمهد هذه الدولة وتتطور يُحقق الترف وعندئذ تنقلب النعمة إلى نقمة. وذلك بداية بالملك، عندما يطلب بطبعه الغريزي الإنفراد بالملك والمجد « وإذا تعين له ذلك فمن الطبيعة الحيوانية خُلق الكبر والأنفة، فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في إستتباعهم والتحكم فيهم ويجيء خلق التأله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من إنفراد الحاكم لفساد الكل بإختلاف الحكام »"[1]، فالطبيعة الحيوانية تدفعه إلى الكبر والأنفة، فيأنف من أن يشاركه أهل عصبيته فيدفعهم عن ملكه، ومن ناحية أخرى يتحكم فيهم، كما أنَّ طبيعة التأله في الملوك تدفعه إلى الإستئثار، إذ لا تكون الرياسة إلاَّ بالإنفراد، فيقضي على كل من يحاول أخذ منصبه من أهل عشرته وذوي قرباه لينفرد بالملك و المجد ما إستطاع .

ولكن عند تحكُّم ذلك الملك فيهم فإنَّ ذلك يقضي على الأنفة والعزَّة عندهم « فيحيط بهما هادمان وهما الترف و القهر »"[2]، وهذا القهر يصبح مرضاً في قلوب أهل العصبية، أي الأفراد التابعين للملك، فهم من جهة لا يستطيعون تحمل تلك الأوامر والسيطرة والتحكم الخاضعين له من طرف الملك ومن جهة ثانية يتطلعون إلى منصب الملك، وهذان السببان يقلبان الأمور بعكس المراد فبعدما كان الملك متحداً مع أفراد عصبيته في دفع الأعداء من الخارج، يصبح التضارب بين الملك وأهل عصبيته فتنقلب غيرة الملك وخوفه على ملكه « فيأخذهم بالقتل والإهانة وسلب النعمة حتى يصبحوا بعض أعدائه »"[3]، وهذا ما يؤدي بدوره إلى هلاك وقلة عدد أفراد دولته، وهذا ما يؤثر على العصبية ويؤدي إلى فساد عصبية صاحب الدولة وهي العصبية الكبرى الجامعة لكل أفراد دولته.

« ومزاج الدولة إنَّما هو بالعصبية ... والعصبية إنَّما هي بكثرة العدد و وفوره »"[4]، فعندما يقضي الحاكم على أفراد دولته وذلك لخوفه من فقدان منصبه، فإنَّه يقضي على العصبية الجامعة لأهل دولته، وبالقضاء على العصبية فإنَّ مآل الدولة الإنحلال والتفكك .

---

(1)-**ابن خلدون**، مصدر سابق، ص209.

(2)- مصدر نفسه، ص364.

(3)-**أحمد محمود صبحي**، مرجع سابق، ص146.

(4)-**ضياء الدّين رجب شهاب الدّين**، مرجع سابق، ص223.

وعندما يقضي الحاكم على أفراد دولته وحُماته يقوم بإستبدال جُنده من دول خارج دولته يشتريهم بالأموال ويتخذ منهم عصبية إلاَّ أنها ليست مثل شِدَّة تلك العصبية التي كانت جامعة بينه وبين أفراده، كون العصبية الأولى تقوي حِبال الدولة لأنَّها قائمة على القرابة والرحم وهي أشد من العصبية التي بناها الملك مع أفراد خارج دولته وكذا خارج عصبيته وهذا هو سبب سقوط الدولة، لأنَّ الملك من جهة قام بالقضاء على أهل عصبيته، ومن جهة ثانية أدخل الغرباء على دولته من أجل حماية دولته.

وفي هذه الحالة يعاني الملك أكثر وأشد ممَّا عاناه عند تأسيسه للمُلك، لأنَّه في بداية الأمر كان متحد مع أهل عصبيته في دفع الأجانب وتأسيس الملك، أمَّا عندما يؤسس الملك وينفرد به، فإنه يدفع الأقارب بالإستعانة بالأباعد، و« هؤلاء بدورهم من عوامل ضعف الدولة »"[1]، وهكذا تنقلب علاقة الحاكم مع عشيرته ورعيته رأساً على عَقِب، والنتيجة الطبيعية لكل ذلك هو دخول الدولة في حرب أهلية وذلك من خلال صراع رئيس الأسرة الحاكمة و المالكة مع عشرتِهِ وأهل عصبيته ويصبحون بعد ذلك من بين أعدائه، فهو من جهة يستبد على أهل عصبيته، ومن جهة أخرى أظهر للدولة الطامعة في الإستلاء على دولته عندما إشترى جُنداً ومرتزقة خارج دولته لحماية أملاكه. وبالتالي أظهر ضعفه، وبإختصار إنَّ صاحب الدولة عندما تتطور به الأمور إلى الشكل الذي شرحناه، يستغني عن عصبيته الأصلية، ويعتمد على عصبية الموالي و المصطنعين له، فيحتاج حينئذ إلى أموال كثيرة يسد بها نفقات هؤلاء المرتزقة المدافعين عنه، وبالتالي يضطر إلى فرض ضرائب على رعاياه وهذا ما يؤدي إلى تأزم الوضع أكثر فأكثر وهذا ما سنعالجه في المبحث الموالي.

– يمكنا القول بأنَّ أثار صراع المصالح الخاصَّة، وبداية بمصلحة الملك، يتجلى في فساد العصبية، وسبَبُها يعود بالدرجة الأولى إلى المال والترف والنعيم الذي بلغته الدولة من تحضر، ونتيجة هذا الصراع هو إضمحلال الحضارة شيئاً فشيئاً.

وبالتالي فإنَّ تأثير هذا الصراع على الحضارة هو تأثير سلبي يعمل على زعزعة الوحدة الكلية للدولة.

(1)- **أحمد محمود صبحي**، مرجع سابق، ص147.

المبحث الثاني : أسباب إقتصادية

قد ذكرنا أنَّ الإقتصاد المزهر مقوم من مقوّمات الحضارة، وعموداً من أعمدتها؛ تبني به لبناتها حجراً حجراً. وفي الوقت نفسه، يُعد فساد الإقتصاد، هادماً للحضارة؛ ينقض لبناتها لبنةً لبنةً. ويهوي بها إلى مراقدها الأبدية.

- ❖ فما هي أسباب حدوث الفساد الإقتصادي في الدولة ؟
- ❖ وما هو تأثير الفساد الإقتصادي على الحضارة ؟

يتجسد الفساد الإقتصادي بصورة مطلقة في الترف. فالترف مظهر من مظاهر الحضارة، وهو يدل في بعض مواطنه على إزدهارها و قوتها، وفي مقابل ذلك يُعدُ الترف سوسة؛ إذا نخرت في هياكل الحضارة؛ خرت سقفها على الأرض، وتهاوت أعمدتها، بلا قرار.

وهنا أقف على معاني الترف في سيء أثره وسوء فعله في تهاوي الحضارة، ودحرها نحو الهاوية فالترف« التاء والراء والفاء كلمة واحدة، وهي التُرفَةُ »"[1]، وهي « التوسع في النعمة »"[2]، وفي مقابل هذا « أترفته النعمة : أطغته »"[3]، والمترف هو « المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها »"[4] .

فالترف فيه طغيان وفتح لأبواب الملذات والشهوات ، فالدلالة اللّغوية للترف تشير إلى المعاني الإيجابية والسلبية في آن واحد.

فإيجابياته أنَّه توسع في النعمة و مظهر من مظاهر بروزها، وسلبياته في تحول هذه النعمة إلى طغيان وإنغماس في الملذَّات التي تغطي النفس الإنسانية؛ فتفجر في نعمة خالقها، ويتضخم جانب المتع؛ حتى يصير غدة سرطانية؛ تمتص زهرة الحضارة؛ فتذبل وتموت، في وقت يُظنُ فيه أنَّها تحقق أقصى درجات الحضارة والرقي، بينما هي في الحقيقة تحتضر و تناجي ساعة الموت ، فما تجد نفسها إلاَّ ذابلة على مسرح الحياة

---

(1)- **إبن فارس أبو الحسن أحمد**، معجم مقاييس اللُّغة، ج1، تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون،دار الفكر ، بيروت، لبنان، د ط، 1979، ص345.

(2)- **الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد**، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مج1، ضبطه و صححه إبراهيم شمس الدّين، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1, 1997 ،ص84.

(3)- **الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر**، مختار الصحاح، مج1، المكتبة الأموية، بيروت، 1978، ص76.

(4)- **إبن منظور** ، مرجع سابق ، ص17 ، مادة ترف .

« وربما يحدث عند آخر الدولة قوَّة توهم أنَّ الهرم قد إرتفع عنها ويومض ذبالها إيماضة الخمود، كما يقع في الذبال المشتعل. فإنَّه عند مقاربة إنطفائه؛ يومض إيماضة توهم أنَّها إشتعال، وهي إنطفاء، فاعتبر ذلك ولا تغفل سرَّ الله تعالى وحكمته »[1].

فالترف هو إنغماس مثير يبعث الإشمئزاز في بعض منحدراته حينما ترفل الحضارة في مشاربه، ومآكله، وشهواته، وملذَّاته، وألبسته ، وأرديته، والتصرفات المبتذلة من الطبائع المترعة من كأسه المميت وذلك لأنَّ الإتراف هو سبب الإسراف والفسوق والعصيان والظلم والإجرام، ويظهر ذلك في كبراء الدولة والرؤساء، وقد بين إبن خلدون في مراتب عديدة من مقدمته أنَّ الظلم مؤذن بخراب العمران.

فالظلم أبشع صورة تبرز فيها الحضارة الآيلة للسقوط ويعجل سيرها إلى مدفنها، وطيها من الوجود، ولهذا بيَّن إبن خلدون وخيم أثره على الحضارة وأيَّما حضارة إتَّسمت بالظلم لا يكاد فجرها أن ينبلج حتى يأذن نجمها بالأفول « وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حق لم يفرضه الشرع فقد ظلمه ... ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران »"[2].

لأنَّه من أشد الظلمات وأعظمها في إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق وتسلط الملك على الأموال، وذلك بشراء ما في أيدي التجار بأبخس الأثمان وبيعها إلى دول خارجة بأعلى الأثمان، ثم يفرض عليهم بضائع بأسعار زهيدة، وهذه الخسارة التي تلحق بالتجار هي سبب نفورهم الذي يؤدي بدوره إلى إنقاص العمران وخرابه.

فالحكمة الإلاهية شاءت تحريم الظلم، نظراً لآثاره السلبية والوخيمة على الإنسان والحضارة، إذ يبين ذلك إبن خلدون في مقدمته « و الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه ؛ وذلك مؤذن بإنقطاع النوع البشري ... فلما كان الظلم مؤذناً بإنقطاع النوع البشري لما أدى إليه من تخريب العمران، كانت حكمة الخطر فيه موجودة، فكان تحريمه مهماً» "[3].

---

[1]- **إبن خلدون**، مصدر سابق، ص363.

[2]- مصدر نفسه، ص356.

[3]- مصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فالله تعالى حرَّم الظلم لأنَّه يقضي على النوع البشري من جهة، ويقضي على الحضارة ويردمها تحت أكوام التراب، ويمسك بوسطها و مناكبها نحو أعماق الموج العاتي ويغرقها في الطوفان الهائج ويهدر البحر الهدار بساعة الأجل المحتوم لموت الحضارة الظالمة، ومثال ذلك فرعون رمز الحضارة الفرعونية الظالمة { وَإِستَكبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقّ وَظَنُّوا أَنَّهم إِلَينَا لاَ يُرجَعُون (39) فَأَخَذنَاه وَجنُودُهُ فَنَبَذنَاهُم فِي اليَّمِ فانظُر كَيفَ كَانَت عَاقِبَةُ اَلظَالِمِين (40) }"[1].

والظلم المسلط من قبل الحاكم سببه المال ، وقد بين إبن خلدون أنَّ بداية الخلل بالدولة يكون من خلال المال ، وهذا الأخير يتم إكتسابه من خلال فرض الملك الضرائب أي الجباية على التجار ، وفرض الضرائب يؤدي إلى خراب العمران، فإبن خلدون يرى أنَّ عدم فرض الضرائب على أفراد الدولة يساهم في تطوير العمران .

لأنَّه إذا لم ترهقهم الدولة بفرض الضرائب وسعوا تجارتهم وبإزدهار التجارة تزدهر الحضارة، « وأمَّا المال فيأتي من الجباية، والجباية تكون في أول الدولة قليلة الوزائع كثيرة الجملة، وذلك لأنَّ الدولة تكون في أول أمرها بدوية لا تحتاج إلى نفاق كثيرة فلا تحتاج إلى أن تفرض ضريبة باهظة على كل فرد »"[2]، ولكن عندما تتطور الدولة وتكون في آخر المطاف تزيد في الوزائع وتقل الجملة أي أنَّ المتوجب على كل فرد من الضريبة يكون كثيراً، وذلك لأنَّ الدولة عندما تقبل على الترف فإنَّها تحتاج إلى أموال كثيرة، وبالتالي تزيد في معدل الضرائب وهذا ما يرهق كاهل التجار.

كما أنَّ الدولة لا تستطيع جمع الضرائب من التجار المتواجدين في المناطق البعيدة عن مركز الدولة، فيقل بذلك مبلغ المال المجموع للدولة، وعلى هذا تزيد حاجة الدولة إلى المال ويزيد ضعفها، عن جمع الضرائب المباشرة وبذلك يسعى صاحب الدولة إلى فرض أنواع جديدة من الضرائب الغير مباشرة يفرضها على المبيعات ويضع لها مقداراً معلوماً على الأثمان في الأسواق وعلى أعيان السلع في أموال المدينة فتكسد الأسواق وهذا سبب إختلال العمران.

---

[1]- **القرآن الكريم، سورة القصص، الآية** (40).

[2]- **عمر فروخ**، عبقرية العرب في العلم و الفلسفة، المكتبة العلمية و مطبعتها، بيروت، ط2، 1902،ص150.

وبالتالي تنقص الجباية نقصاً كبيراً، فترجع الدولة إلى مرحلتها الأولى من زراعة وفلاحة، وهنا تخرج التجارة من يدي الدولة وتصبح في يد التجار وهذا ما يؤثر سلباً على الدولة والرعايا، فيصبح التجار يقتنون السلع من خارج الدولة و يبيعونها من تحت أيديهم للرعية دون فرض ضرائب على التجار من قبل الدولة ، وهذا هو سبب فساد الرعية وإختلال أحوالهم، وقد بين الله عزَّ وجل في كتابه بأنَّ الإنحراف في الإقتصاد هو فتح لباب الفساد، الذي إذا فتح على الحضارة فإنَّه يجرفها ويقتلع قواعدها مهما كانت عظيمة.

يقول الله تعالى { أُوفُوا الكَيلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الُمخسِرِينَ (181) وَزِنُوا بِالقُسطاَسِ المستَقِيم (182) وَلاَ تَبخَسُوا النَّاسَ أَشيَاءَهُم وَلاَ تَعثَوا فِي الأَرضِ مُفسِدِين (183) }"[1]، والوفاء بالكيل والوزن بالقسطاس المستقيم له دلالة اجتماعية في البناء الحضاري، ويعني إستقامة وعدلاً في مرافق الحياة جميعها.

إذ أنَّه « ينشر العدل السلوكي بين النَّاس »"[2]، أمَّا الإنحراف الإقتصادي فهو فساد وهو يوصل بالدولة إلى العيث في الأرض فساداً ؛ وكلمة العيث لوحدها تدل على الفساد، لأنَّ الإقتصاد إن ساءت سياسته وإنحرفت مبادئه ، فإنَّه يزرع الكراهية في جدار الحضارة الذي سرعان ما ينهار تحت وطأته فيهدم الحضارة.

وعليه يمكننا القول بأنَّ « الدولة تدخل مرحلة الهرم عندما يأتي الترف والفساد الناتج عن الملك الذي هو غاية عصبية القبائل و العشائر ، والتي إذا نزل بها هذا الداء وإستبد بأركانها تأتي عصبية أخرى لتنزيلها و هكذا »"[3].

ولأنَّ الترف والنعيم هو بمثابة حاجز يوقف بالعصبية في منتصف طريقها نحو تحقيق غايتها المنشودة، وكلما إزداد إنغماس أفراد العصبة في النعيم ضعفت رابطتهم شيئاً فشيئاً حتى تضمحل.

لأنَّه من « مفاسد الحضارة الإنهماك في الشهوات والإسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفنن في شهوات البطن من المآكل و الملاذ و المشارب و طيبها، ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح ... فيفضي ذلك إلى فساد النوع »"[4].

---

[1]- **القرآن الكريم**، سورة الشعراء، الآية (181- 183).

[2]- **الشعراوي محمد متولي**، تفسير الشعراوي، مج أخبار اليوم، ج7، د ط, د ت, ص 4236.

[3]- **محمد العبده**، مرجع سابق، ص59.

[4]- **إبن خلدون**، مصدر سابق، ص467.

فعندما يبلغ الإنسان البدوي مرتبة الحضارة فإنَّه يتخلى عن العديد من سماته كالأخلاق، وذلك في كون الحضارة تؤدي إلى القضاء على الجانب الأخلاقي في الإنسان، وذلك نتيجة تفننه في مختلف ملاذ الدنيا وشهواتها إلى درجة بلوغ التفنن في مختلف المناكح الذي يؤدي بدوره إلى فساد النوع البشري وإنتشار الأمراض والفساد الأخلاقي.

فالترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك و دليلاً عليه »"[1]، وهذا هو سبب إنحلال الحضارة، لأنَّها تنزل بها أمراض مزمنة من الهرم الذي يقضي عليها، الناتج عن الإنغماس في الترف.

وعليه وبعدما كان الترف يزيد الدولة في بداية مشوارها قوَّة على قوَّتها، ويعتبر مظهراً من مظاهر تحضرها، ينقلب الأمر إلى أنَّ هذه الحضارة التي كانت غاية العمران، أصبحت في حقيقة الأمر نهاية لعمره ومؤذنة بخرابه.

إنَّ الحضارة التي شجبها إبن خلدون و جعلها مسؤولة عن هرم الدولة وإضمحلالها، ليست هي الحضارة التي نعرفها بالمعنى الحديث والمعاصرة، وإنَّما هي نمط في العيش وأسلوب في الإستهلاك خاص بالفئة الحاكمة ومن يدور في فلكها من الموالي والمصطنعين والموظفين الذين يكسبون عيشهم من الإمارة والجاه أولئك الذين لا ينتجون ولا يعملون في الوقت الذي يستهلكون فيه بغير حساب، هذا النمط من الحياة مفسر للعمران في نظر إبن خلدون، ولما كان العمران مادة وصورة، فإنَّ فساد العمران يعني به فساد مادته وصورته، ففساد مادة العمران هو فساد أخلاق أفراد المجتمع، أمَّا فساد صورة العمران يعني به فساد الدولة وإضمحلال أجهزتها.

فقد بين إبن خلدون في مراتب عديدة، بأنَّ كثرة الإنغماس في الترف الناتج عن الحضارة، تقضي على الجانب الأخلاقي وذلك لأنَّ « الأخلاق الحاصلة من الحضارة و الترف هي عين الفساد »"[2]،وعليه فإنَّ أهل الحضر يتلونون بعوائد الترف والحضارة والسكون والدعة وينغمسون فيها.

« فإذا حصل الملك أقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه وآثرو الراحة والسكون والدعة ... ، ويتأنقون في أحوال الملابس والمطاعم والآنية والفرش ما إستطاعوا ويألفون ذلك ويورثونه من بعدهم من أجيالهم »"[3].

وعليه أقر إبن خلدون بأنَّ هناك دورة رباعية تمر بها الحضارة ثم تنهار:

---

[1]- **عبد الله شريط**، نصوص مختارة من فلسفة إبن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط1, 1984، ص52 .

[2]- **إبن خلدون**، مصدر سابق ,ص209 .

[3]- مصدر نفسه، ص210 .

1- الجيل الأول : يعيش حياة بدوية خشنة بعيدة عن الترف وعن الملذات و« لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والإفتراس والإشتراك في المجد فلا تزال سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب و النَّاس لهم مغلوبون »"[1].

2- الجيل الثاني : وهو الجيل الذي يتحقق على يده الملك والذي يؤسس الدولة، فينتقل من الحياة البدوية الخشنة أو من العمران البدوي إلى الحياة المدنية المترفة أو العمران الحضري،« و الجيل الثاني تحول حالهم بالملك والرفه من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الإشتراك في المجد إلى إنفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عز الإستطالة إلى ذل الإستكانة، فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء »"[2]. إذ أنَّ المذلة و الإنقياد كاسران لثورة العصبية وشدتها ، فإنَّ إنقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رئموا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة وإنطلاقاً من عجزه عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزاً عن المطالبة و المقاومة.

3- الجيل الثالث : يقول إبن خلدون عنه« فينسون عهد البداوة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ الترف فيهم غايته »"[3].

بما إنغمسو فيه من نعيم فيصيرون عالة على الدولة ويصبحون مثلهم مثل النساء و الأطفال الذين ينتظرون دائماً المساعدة من الآخرين في الدفاع عنهم وهم في حقيقة الأمر أجبن من النسوان ، وفي هذا الجيل تسقط العصبية بالجملة ويصطنع الحاكم من يغني على الدولة بعض الغناء إلى أن يأذن الله بإنقراضها.

4- الجيل الرابع : يسقط تحت ضربات دولية جديدة ناشئة تكون في حالة البداوة الوحشية.

وبالتالي تؤول الدولة إلى ما كانت لا تريد الوصول إليه « عندما كنت شاباً، كنت تقرر لنفسك وكنت تذهب حيث تشاء، ولكن عندما تصبح شيخاً ... آخر يُقرِر عليك، ويقودك إلى حيث لا تريد أن تذهب »"[4].

ومن خلال هذا أقر إبن خلدون بأنَّ للدولة أعمار كما للأشخاص إذ أنَّه قدرها ب: 120 سنة ، ولكل جيل من الأجيال السالفة الذكر 40 سنة ، وكل دولة لها حصة من المماليك و الأوطان و بالتالي فإنَّ مدَّة كل دولة لا تتعدى ال 120سنة، وبعدها تسقط وتنهار وتترك المجال و الميدان لقيام دولة جديدة و قوية .

---

[1]- **إبن خلدون**, مصدر سابق ، ص214 .

[2]- مصدر نفسه، ص نفسها .

[3]- مصدر نفسه ، ص نفسها .

[4]- TOYNBEE (Arnold) , l'histoir , traduitde l'anglais par gacques potin et autres , paris – bruscelles , alsevier séquoia ,1975 , p161 .

وهذا ما سنعالجه في المبحث الأخير المعنون بقيام الدولة المستجدَّة « إذن نقطة النهاية و البداية معاً في الترف والنعيم لهذه الحضارة المفسدة للعمران ، التي تستهوي البدو فتلتحم عصبياتهم للجري نحوها ، وعند بلوغها تفسد طباعهم فتنكسر عصبياتهم و يختل عمرانهم وتسقط دولتهم »"[1]، وهكذا دواليك وهو ما أقره إبن خلدون بالدورة الحضارية.

وعليه يمكننا القول بأنه من أسباب حدوث الفساد الإقتصادي في الدولة هو الترف، الذي يؤدي بالدولة إلى الإنحلال وذلك من خلال الفساد الأخلاقي لأفراد الدولة فالترف معول هدم يؤدي إلى إنهيار الدولة فمبعثه حسب إبن خلدون ما يلزم عنه من فساد الخلق، لأنَّ عوائده تؤدي إلى العكوف عن الشهوات وكثيراً من مذمومات الخلق.

فالترف يؤدي إلى الفساد الإقتصادي وهذا الأخير يؤثر سلباً على الحضارة ويدفعها نحو الهاوية والسقوط.

وعليه فإنَّ لإنهيار الحضارة أسباب متداخلة سياسية وإقتصادية، وهذه الأسباب هي التي تمهد وتفتح الطريق لقيام الدولة المستجدَّة.

[1]- **محمد عابد الجابري** ، فكر إبن خلدون (العصبية و الدولة) ، دار الطليعة ، بيروت ، ط3 ، 1982 ، ص375 .

المبحث الثالث : قيام الدولة المستجدَّة

إنَّ لقيام الدولة المستجدة أساليب إستراتيجية منظمة في الإستيلاء على الدولة المستقرة.

❖ فكيف تتم إستراتيجية الدولة المستجدة في الإستيلاء على الدولة المستقرة ؟

يقرر إبن خلدون في فصل خاص « أنَّ الدولة المستجدة »"[1]، إنَّما تستولي على الدولة المستقرة، وتظفر بمطلوبها منها, « بالمطاولة لا بالمناجزة »"[2]، ويقصد بذلك أنَّ هذا الإستيلاء إنَّما يتم بالتدريج وبمرور الزمان، لافوراً، ومن المعلوم أنَّ إبن خلدون يذهب إلى أنَّ الدولة المستجدة نوعان:

- النوع الأول من ولاية الأطراف.
- والنوع الثاني من الدعاة و الخوارج على الدولة.

إذ أنَّه يرى بأنَّ ولاة الأطراف حينما يستقلون بالأمر يقنعون عادة بما في أيديهم وهو نهاية قوتهم، فلا يقع منهم مطالبة للدولة، ولكن « الدعاة و الخوارج على الدولة ... لابد لهم من المطالبة، لأنَّ قوتهم وافية بها ... فإنَّ ذلك إنَّما يكون في نصاب يكون له من العصبية والإعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به، فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال، تتكرر و تتصل إلى أن يقع لهم الإستيلاء والظفر بالمطلوب، ولا يحصل ظفر في الغالب بالمناجزة »"[3].

وأمَّا أسباب ذلك فإنَّ إبن خلدون يشرحها بالتفصيل :

إنَّه يذكرنا أولاً بما قاله عن أسباب الغلب في الحروب « إنَّ الظفر في الحروب إنَّما يقع كما قدمناه بأمور نفسانية وهمية، وإن كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلاً به، ولكنه قاصر مع تلك الأمور الوهمية كما مر، ولذلك كان الخداع من أرفع ما يستعمل في الحرب ، وأكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث : الحرب خدعة »"[4].

إنَّ الخدع التي تضمن الظفر و الغلب على الدولة المستقرة لا تعمل عملها دفعة واحدة، بل إنَّها تحتاج إلى زمان.

---

[1]- **إبن خلدون** ، مصدر سابق ، ص372 .

[2]- مصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[3]- مصدر نفسه، ص نفسها .

[4]- مصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

كما سنوضحه في التفاصيل التالية :

1-« إنَّ العوائد المألوفة »"[1]، تصير طاعة الدولة المستقرة « ضرورية واجبة »"[2]، كما تقدم في غير موضع

« فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ، و التغلب على تلك العوائد و العوائق إنَّما يتطلب زيادة الهمم من أتباعه و أهل شوكته ويحتاج إلى زمان ، وإن كان الأقربون من بطانة صاحب الدولة المستجدة على بصيرة في طاعته و مؤازرته »"[3]، إلاَّ أنَّ الآخرين يكونون تحت تأثير عقائد التسليم للدولة المستقرة، فيحصل بعض الفتور منهم ، ولا يكاد صاحب الدولة المستجدة أن يقاوم صاحب الدولة المستقرة ويرجع عندئذ إلى الصبر والمطاولة، حتى يتَّضح هرم الدولة المستقرة وتضمحل عقائد التسليم لها من قومه فيقع حينها الظفر والإستيلاء.

2-إنَّ الدولة المستقرة تكون عادة « كثيرة الرزق بما إستحكم لهم من الملك وتوسع النعم و اللَّذات ... وإستجادة الأسلحة ... ، فيرهبون بذلك كله عدوهم »"[4]

في حين أنَّ « أهل الدولة المستجدة بمعزل عن ذلك لما هم فيه من البداوة و أحوال الفقر و الخصاصة ؛ فتسبق إلى قلوبهم أوهام الرعب بما يبلغهم من أحوال الدولة المستقرة ، ويحجمون عن قتالهم من أجل ذلك ، فيصير أمرهم إلى المطاولة ، حتى تأخذ الدولة المستقرة مأخذها من الهرم »"[5].

وحتى يعظم الخلل في العصبية و الجباية فينتهز عندها صاحب الدولة المستجدة الفرصة للإستيلاء عليها بعدما مرت فترة طويلة على المطالبة.

---

[1]- **إبن خلدون** ، مصدر سابق ، ص372 .

[2]- مصدر نفسه، ص نفسها .

[3]- مصدر نفسه ، 373 .

[4]- مصدر نفسه، ص 373 .

[5]- مصدر نفسه ، ص نفسها .

يصعب على أهل الدولة المستجدة أن يطلعوا على أحوال الدولة المستقرة إطلاعاً يضمن لهم إصابتها بالخلل الجزئي وذلك لأنَّ أهل الدولة المستقرة يظهرون فقط قوتهم و سائر مناصبهم و أسلحتهم وينبذون لما وقع لهم في مطالبة الدولة المستجدة للإستيلاء عليهم ، وبذلك يسعون أهل الدولة المستقرة إلى المباعدة و إحداث القطيعة بينهم وبين الدول المستجدة لكي لا تتطلع على أسرارهم و حروبهم الأهلية . وبالتالي لا يصل إلى أهل الدولة المستجدة خبر عن أهل الدولة المستقرة لإنقطاع المداخلة بين الدولتين ، ويستمر الحال على هذا المنوال ، إلى أن يزداد الخلل في جميع جهات الدولة المستقرة ، ويتضح عندها لأهل الدولة المستجدة مع الأيام ما كان يخفى عنهم من هرمها وتلاشيها.

والدولة المستجدة تقتطع من الدولة المستقرة بعض أعمالها و أطرافها مرة بعد أخرى ؛ ولكل مرة تعظم قوَّة الدولة المستجدة وتنقص قوَّة الدولة المستقرة بطبيعة الحال.

وإذا إستمرت الأمور على هذا المنوال مدَّة من الزمن « تنبعث همم »"[1]، أهل الدولة المستجدة « يداً واحدة للمناجزة ويذهب ما كان بث في عزائهم من التوهمات ؛ وتنتهي المطاولة إلى حدها ويقع الإستيلاء آخراً بالمعالجة »"[2]، وهكذا هو حال الدولة المستجدة مع الدولة المستقرة فضعف هذه الأخيرة و إضمحلالها يمهد الطريق للدولة المستجدة بالإستيلاء وهذه « سنَّة الله في عباده ولن تجدَ لسنَّة الله تبديلاً »"[3].

وعليه يمكننا القول بأنَّ الإستراتيجية التي تعتمدها الدولة المستجدة في إستيلاءها على الدولة المستقرة هي إستراتيجية تعتمد فيها على الصبر وبعدها تعتمد على إنتهاز الفرصة للإستيلاء على الدولة المستقرة بعدما يتطرق الخلل لهذه الأخيرة بفساد عصبيتها وبسبب كثرة ترفها.

ومنه يمكننا الإقرار بأنَّ الخلل إذا طرق للدولة طرقها من خلال عنصرين ضروريين كانا السبب في قيامها وهما العصبية والمال، وعليه يمكننا أن نستنتج بأنَّ عوامل قيام الحضارات هي نفسها عوامل تدهورها وفنائها عند إبن خلدون فبعدما كانت العصبية هي التي تكون بها الحماية و المدافعة والمطالبة وحصول الرياسة والملك، أصبحت سبباً بإنحلال الدولة وذلك بفسادها عندما يستغني عنها الملك ويستبدلها بالموالي و الصنائع كبديل عن أهل عصبيته، وكذلك الترف الذي يعود مصدره من المال، فالترف في البداية يزيد الدولة قوتاً على قوتها وهو غاية

---

[1]- **إبن خلدون** ، مصدر سابق ، ص374 .

[2]- مصدر نفسه ، ص نفسها .

[3]- مصدر نفسه ، ص375 .

الحضارة و الملك وبه تتباهى الدول المتحضرة وبه تقاس حضارتها وقوتها وهو في الوقت ذاته العلة الأساسية لحدوث الخلل في الدولة لأنَّه مؤذن بالفساد إذ أنَّه إذا حصل الترف أقبلت الدولة على الهرم ومهدت بذلك لقيام الدولة المستجدة، والقضاء على الدولة التي طغاها الفساد العصبي والفساد المالي المتجسد في الإنغماس في ملذات الترف، وهذه هي الأسباب البارزة لسقوط الحضارة وقيام حضارة أخرى.

خاتمة

يمكننا في الأخير إستخلاص آلية سقوط الحضارة حسب فكر إبن خلدون المتجسدة في الديالكتيكية في تعاقب الحضارة، وتتمثل فيما قاله على أن عامل قيام الحضارات، هو نفسه عامل تدهورها وفنائها، هذا العامل يتمثل في العصبية التي بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وحصول الرياسة والملك، وبعدها يستغني عنها الملك ويضع الموالي والصنائع كبديل عن أهل عصبيته، وهذا يعني أنَّ العصبية عامل قيام الدولة وعامل فنائها، بسبب مناوأة أهل العصبية للحاكم.

وكذلك الترف الذي يزيد الدولة في أولها قوَّة على قوَّتها، وهو غاية الحضارة والملك، وبه تتباهى الدولة المتحضرة، وبه تقاس حضارتها و قوتها، وبه ترهب الدولة المجاورة، ولكن الترف في الحقيقة هو العلة الأساسية لحدوث الخلل في الدولة كونه مؤذن بالفساد، إذ أنَّه إذا حصل الترف أقبلت الدولة على الهرم.

وعليه فإنَّ هناك قضيتين متعارضتين في مسار التاريخ حسب إبن خلدون:

1- بالعصبية تتم الرياسة أي تقام الدول: من المعروف ان المجتمعات القبلية كانت تعيش على شكل قبائل منفردة و متجزئة عن بعضها البعض هذا ان دل على شيء دل على أن أهلها اتسموا لامحالة بتلك العصبية العرقية و الدموية.

وفي هذا الحال اذا اعتبرنا أن أولئك القوم قد شعروا بالاضطهاد أو الظلم أو أي نوع من أنواع القهر من جهات أخرى ستكون النتيجة حتما انتفاضة وانقلاب على القبائل المجاورة، وبهذا سيسعون الى السيادة والقيادة، وهنا تنشأ حالة التأهب في جميع النواحي مما يشكل تطورا وتفوقا هذا الأمر الأخير سيجعلها تصل حتما الى الرياسة.

2- ولا تطيب الرياسة إلاَّ بالإستغناء عن العصبية حتى لا يزاحم الملك ويشعرهم بأنَّهم هم من مكنوه من الحكم والإدارة: ان القبيلة التي مرت على المراحل الأنفة ذكرها :

-الانفراد

-الشعور بالقهر والاضطهاد، هذا الشعور سيولد ويخلق عصبية دموية عرقية (عصبية قبيلة).

هذه المراحل ستوصل القبيلة الى الحكم، لكن التاريخ حسب ابن خلدون أثبت بأن السيادة والحكم لن يدوم طويلا في يد أولائك القوم اذا لم يتخلوا عن عصبيتهم، وبهذا فالدورة التاريخية التي اعتدنا عليها من تخلق، عصبية، حكم، ستكون نهايتها حتما العودة الى المرحلة الأولى وهي البداية كقوم منعزلين مضطهدين ...، وفي ظل هذا الاشكال يعالج ابن خلدون ذلك بالنهي عن العصبية ابان وصول الحاكم الى الرياسة، فبالرغم من أن العصبية حسب هذا الأخير ضرورية للوصول لرياسة فإنها ستكون أفة بعد الوصول اليها وهي هنا سلاح ذو حدين وبهذا لا يمكن الاقرار سوى بأنه اذا زاد الشيء عن حده وبهذا لا يمكن الاقرار سوى بأنه اذا زاد الشيء عن حده انقلب الى ضده.

* كما أنَّ هناك أيضاً قضيتين متعارضتين وهما:

1- الترف مظهر للحضارة وغاية العمران، ومرهب للأمم المجاورة: ان الترف والغناء والتطور الذي تتسم به الدولة الحاكمة يعتبر أهم عامل لإرهاب الدول الأخرى المجاورة والتي غالبا ما تكون في دور المفترس الذي ينتظر لحظة ضعف للانقضاض على الفريسة ، وبهذا فالترف أهم عامل لإرهاب الغير.

2- الترف هادم للحضارة ومؤذن بنهاية العمران، ويغري القبائل بالانقضاض على الدول التي هزمت بسبب الإسراف في الترف و الركون إلى الدعة: ان الترف وبالرغم من أهميته في ابعاد الغير وارهابهم وتخويف الحضارات الأخرى ، الا أن دراسات ابن خلدون التاريخية والتي قام بها على العديد من الحضارات التي عايشت الترف وجد بأنها علة لا شفاء منها وخاصة اذا كان أهلها ينقصهم الوازع الثقافي، لأنه اذا اعتبرنا أهل الحضارة قد ترفوا واغتنوا دون عقل مسيطر واعي محنك، فهم سيذهبون حتما الى الاسراف والتبذير والزندقة ...الخ.

وبذلك تتشتت هذه الحضارة وتتقسم مما يسهل على الحضارات الأخرى رؤية نقاط الضعف التي سيخترقونها منها.

– وهنا يقر إبن خلدون بحتمية انتقال الحضارة إلى الهرم و التدهور، وبذلك نجد أنَّ كلاً من العصبية و الترف يتميزان بالتناقض الداخلي في الدور الذي يقوم به كل منهما في مسار التاريخ .

– ويؤكد إبن خلدون أنَّ الهرم في الدولة لا يمكن إيقافه وذلك لأنَّه شبه تطور الحضارة و سقوطها بالإنسان ، الذي ينمو, فيتطور ويهرم ويموت، كذلك لها ثلاث أطوار، طور التأسيس والبناء وطور العظمة والمجد إلى طور الاضمحلال والسقوط.

قائمة المصادر والمراجع

– قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم.

*** المصادر :**

1– عبد الرحمان إبن خلدون، المقدمة، ج1، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان,ط1، 2001.

2– عبد الرحمان إبن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج3, دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان ,ط2، 2003.

*** المراجع :**

–باللغة العربية :

1– أبو صهيب الكرمي ، تاريخ إبن خلدون، بين الأفكار الدولية ، المؤتمن للتوزيع، د ط ، د ت.

2– أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر ، 1975.

3 – جاسم سلطان ، أداة فلسفة التاريخ ، سلسلة أدوات القادة ، د ط، د ت .

4– طه حسين ، فلسفة إبن خلدون الإجتماعية ، مطبعة الإعتماد بشارع حسن الأكبر، مصر، ط1، 1925.

5– محمد العبده ، البداوة و الحضارة (نصوص من مقدمة إبن خلدون)، المنتدى الإسلامي، لندن ، ط1، 1993.

6– محمد الحبابي ، الدينامية المحركة للتاريخ عند إبن خلدون ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ،2003.

7- محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، ط1،2001.

8- محمد عابد الجابري ، فكر إبن خلدون (العصبية و الدولة)، دار الطليعة، بيروت ,ط3،1982 .

9- محمد عابد الجابري ، فكر إبن خلدون (العصبية و الدولة)، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،لبنان, ط5،1992 .

10- محمد عابد الجابري، فكر إبن خلدون (العصبية و الدولة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6،1994.

11- مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي من صولون حتى إبن خلدون، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،القاهرة 1999 .

12- مصطفى الشكعة، الأسس الإسلامية في فكر إبن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3،1992.

13- عبد الأمير شمس الدّين ، الفكر التربوي عند إبن خلدون وإبن الأزرق، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، ط1،1991.

14- عبد الله شريط ، نصوص مختارة من فلسفة إبن خلدون ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

15- علي عبد الواحد وافي، عبقريات إبن خلدون، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط2، 1984.

16- عمر فروخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، المكتبة العلمية ومطبعتها، بيروت، لبنان، ط2، 1902.

17- خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ,ط1،2000.

18– ضياء الدين رجب شهاب الدّين، الدُر المصون بتهذيب مقدمة إبن خلدون، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ,ط1 ، 1995.

19 – الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، المكتبة الأموية، بيروت، 1978

20– غا ستون بوتول، إبن خلدون فلسفته الإجتماعية، تر : عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1974.

– باللُّغة الأجنبية :

21–TONBEE(Arnold) , L'Histoir , Traduitde l'anglais par gacques potinet . autres ,paris ¯ Bruscelles , Elsevier sequoia , 1975

* **الموسوعات** :

1– أندرية لا لاند، موسوعة لا لاند الفلسفية، تر : خليل أحمد خليل، المجلد الأول A–G، منشورات عويدات، بيروت، باريس، فرنسا،ط1، 2002.

2– كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الإجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان،2000.

* **المعاجم** :

1– الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، د ار الكتاب العلمية، بيروت، ط1،1997 .

2– إبن منظور، لسان العرب ، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1،1997 .

3– إبن فارس أبو الحسين أحمد ، معجم مقاييس اللّغة، ج1، دار الفكر، بيروت ،لبنان، 1979.

4– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

5– عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل- المصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000.

* **القواميس** :

1– الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،لبنان، ط1, 1998.

* **المجلات** :

1– الشعراوي محمد متولي، مجلة أخبار اليوم، ج7، ص4236، د ط، د ت.

2– جمال شعبان، قراءة جديدة في فكر إبن خلدون، مجلة المستقبل العربي، العدد(329)، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.

الفهرس :

مقدمة..... أ

- **الفصل الأول : نشأة الحضارة عند إبن خلدون** 6

المبحث الأول : ضرورة الإجتماع البشري 7

المبحث الثاني : البداوة ومميزاتها 9

✓ المطلب الأول : تعريف البداوة 9

✓ المطلب الثاني : سمات البداوة 10

المبحث الثالث : العصبية في الفكر الخلدوني 13

- **الفصل الثاني : تطور الحضارة عند إبن خلدون** 17

المبحث الأول : الدولة والسياسة 18

✓ المطلب الأول : تعريف الحضارة لغة وإصطلاحاً 18

✓ المطلب الثاني : الشروط السياسية للقيام بالحضارة 21

المبحث الثاني : الدولة والإقتصاد 26

المبحث الثالث : الدولة و الرقي الفكري 30

- **الفصل الثالث : أسباب إنهيار الحضارة عند إبن خلدون**..... 36

المبحث الأول : أسباب سياسية 37

المبحث الثاني : أسباب إقتصادية 40

المبحث الثالث : قيام الدولة المستجدَّة 50

خاتمة 54

قائمة المصادر و المراجع 59

الفهرس 61